Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

قُل لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

الأمام الكاظم عليه السلام

لجنة التأليف
في دار التوحيد

دار التوحيد

الإمام الكاظم عليه السلام

al-Imām

أهل البيت

٩

الإمام الكاظم عليه السلام

دار التوحيد

(Arab)
BP193
.17
.A3I425
1983
(RECAP)

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

دار التوحيد
ص. ب: ٩٨/٧٤٥
جمهورية ايران الاسلامية

DAR EL - TAWHEED
P. O. Box 745/98
ISLAMIC REPUBLIC OF IRAN

حقوق الطبع والتصوير مسجلة
ومحفوظة لدار التوحيد والمؤلف

الترجمة الأمينة الى أية لغة
جائزة للجميع بعد عرضها عل دار التوحيد

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>

كلمة الدار

الحمد لله الذي يهلك ملوكاً ويستخلف آخرين، والصلاة والسلام على قائد الدعاة الميامين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، المصطفى محمد، وعلى شهداء الشريعة وخلفاء الرسول الأعظم، أهل بيته الطاهرين، وعلى صحبه المتقين.

منذ أن أغوىٰ الشيطان أبانا آدم، فأخرجه من الجنة، ثم ارتكب قابيل قتل هابيل، بدأ الصراع الدموي الحاد ـ ولن ينتهي ـ بين الرذيلة والفضيلة، بين الباطل والحق، بين الجور والعدل، بين الطغيان والاستضعاف، بين الفساد والصلاح، بين الشر والخير، بين الضلال والهدىٰ... وبكلمة واحدة بين الجاهلية والاسلام.

وكلما شهر الطاغوتُ سيفَ الظلم، لم يستطع أن يتحداه

سوى لسان صدق لاينطق عن الهوىٰ، ودم حر تحصن بالتقوىٰ، وداعية حق اعتصم بالقاهر الأعلىٰ..

ولقد كانت خاتمة كل صراع، أن انتصرت كلمة الله، وكانت هي العليا، وتحقّقت إرادته، ومكثت في الأرض.. واندحرت كلمة الطاغوت، وكانت هي السفلى، وانهارت سطوته، وذهبت جفاءً..

إنَّ «بني العباس» ورثوا عن «بني أمية» المُلك الداعر، والسلطان الجائر، وزادوا عليهم بطشاً وتنكيلاً، وتشريداً وتقتيلاً في آل الرسول الأطهار، وأئمة المسلمين الأبرار الذين وقفوا لهم بالمرصاد، وَشَرَوا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، فأرخصوا دماءهم الغالية وأرواحهم الزاكية في سبيل مقاومة الانحراف والضلال، والدفاع عن الدين، ونصرة المسلمين، فكان الخلود للثوار أبد الدهر.. والخزي والعار لأعداء الاسلام.

وإمامنا الثائر الكاظم «موسى بن جعفر» عليه السلام، سليل النبوة، وحفيد العترة المعصومين، وقف كالجبل الأشم، وجاهد جهاد الصناديد المغاوير في مقاومة سياسة البذخ والفجور والارهاب.. وظل يذبُّ عن الشريعة تضليل الجائرين، ويذود عن الأُمة بطش الجبارين، حتى سُقيَ السم، وهو مكبل بالحديد في سجنه، وأُلقي جثمانه الطاهر على جسر بغداد..

و «دار التوحيد» تتشرف إذ تقدم لقرائها الأعزاء شذرات من

حياة هذا الامام الخالد، داعين الله تعالى أن يوفقنا لمواصلة الجهاد، وتطهير البلاد من عبث العابثين وفساد الحاكمين، حتى يُظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

دار التوحيد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنما يُريدُ اللهُ ليُذهبَ عنكُم الرجسَ أهلَ البيتِ ويُطهّركم تطهيراً».

الرسالة العظيمة تنجب رجالاً عظماء، والمبادىء الخالدة تصنع قادة وطلائع خالدين، والعقيدة الفذة قادرة على أن تصنع الانسان الفذ. وبقدر ما يكون الالتزام والتمسك بالرسالة والمبدأ والعقيدة يكون الانسان القائد والرائد عظيماً وفذاً.

ولقد جاء الاسلام الدين العظيم والعقيدة الخالدة والرسالة الالهية الفذة، جاء لتغيير الحياة، وهدم أُسس الجاهلية، واستئصال جذور التخلف والجهل والفساد، وصنع تاريخ الانسان، وصياغة شخصيته على أُسس من الهدى، وبوحي من قيم الأخلاق ومبادىء العدل والكمال.

والاسلام حينما خطّط لبناء الحياة وتنظيم السلوك، وقيادة البشرية وصنع الحضارة، كان ديناً يتعامل مع الواقع ويتفاعل مع الانسان.

ولا شك أن أبرز ظاهرة في حياة الانسان الاجتماعية، وأكثرها خطورة وأهمية هي ظاهرة القيادة والريادة والامامة، ذلك لأن أخطر قضية تواجهها العقائد والمبادىء والقيم هي وجود الانسان الرائد، والشخصية القدوة، والمثل الأعلى في الفهم والتطبيق والريادة والقيادة. ولقد شاء الله أن يكون الأئمة والقادة في هذه الامة من أهل بيت النبوة، ومدرسة الرسالة، وهم علي وبنوه. فقد ذكر المفسرون أن المعنيين بالآية الكريمة:

«إنما يُريدُ اللهُ ليُذهبَ عنكُم الرّجسَ أهلَ البيتِ ويُطهركم تَطهيراً».

هم علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله (ص) وابناهما: الحسن والحسين (ع).

فقد روى أبو هريرة عن أُم سلمة (رض) أنها قالت:

(جاءت فاطمة إلى رسول الله ببرمة لها، قد صنعت فيها عصيدة، تحملها على طبق فوضعتها بين يديه، فقال: أين ابن عمك وابناك؟. فقالت: في البيت. فقال: ادعيهم. فجاءت علياً فقالت: أجب النبي (ص) أنت وابناك.

فقالت أم سلمة: فلما رآهم مقبلين مدَّ يده إلى كساء كان علىٰ

المنامة فمدّه وبسطه فأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمّه فوق رؤوسهم، وأومأ بيده اليمنىٰ إلى ربه (تعالى ذكره)، ثم قال: **اللّهمّ هؤلاء أهل البيت، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**).[1]

وجاء في الحديث الشريف:

(إنّ الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وجعل ذريتي في صلب هذا ــ يعني علياً ــ).[2]

وجاء على لسان النبي الأمين أيضاً:

(كل ولد أب فان عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة، فاني أنا أبوهم وأنا عصبتهم).[3] ــ أخرجه أحمد في المناقب ــ.

وعن ابن عباس قال:

(سمعت رسول الله (ص) يقول: **أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من الحسين مطهّرون ومعصومون**).[4]

فاولئك أهل البيت المطهّرون علي وذريته، ولقد كان الامام

---

١ ــ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت سنة ٨٤٥ هـ): فضل آل البيت / ص ٢٥/ ط ٢/ عن تفسير الطبري: ج ٢٢/ ص ٧.

٢ ــ محب الدين الطبري: ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى / ص ٥٨/ ط ١٩٦٧ م.

٣ ــ الطبري: المصدر السابق.

٤ ــ البلخي القندوزي: ينابيع المودة /ص ١٠٥ /ج ٢ / ط ٢.

علي ـ بنص من رسول الله (ص) وباجماع الصحابة ـ أعلمهم وأقضاهم وأشجعهم وأسبقهم للاسلام، فكان امام المسلمين بحق. وقد جمع أولاده وأهل بيته وصحابته قبيل شهادته في الحادي والعشرين من رمضان عام ٤٠ هـ، وأوصى بالامامة لولده الحسن (ع) وفعل الحسن (ع) مثله يوم حضرته الوفاة، فأوصىٰ بالامامة للحسين (ع)، وأوصى الحسين (ع) يوم شهادته في كربلاء بالامامة لولده السجاد علي بن الحسين (ع)، وأوصى السجاد (ع) بالامامة لولده محمد الباقر (ع)، وأوصىٰ الباقر (ع) بالامامة لولده جعفر الصادق (ع)، وأوصىٰ الصادق (ع) بالامامة لولده موسىٰ الكاظم (ع)، وأوصىٰ الكاظم(ع) بالامامة لولده علي بن موسى الرضا (ع)، وأوصى الرضا (ع) بالامامة لولده محمد الجواد (ع)، وأوصى الجواد (ع) بالامامة لولده علي بن محمد الهادي (ع)، وأوصى الهادي بالامامة لولده الحسن العسكري (ع)، وأوصى الحسن العسكري (ع) بالامامة لولده محمد بن الحسن المهدي المنتظر (ع) الذي أجمع المسلمون، بمختلف مذاهبهم، على التصديق به وبالاخبار الواردة عن رسول الله (ص) فيه، الا أنهم اختلفوا في تحديد شخصيته وأجمعوا أيضاً على أنه من ذرية رسول الله (ص)، وأنه الأمل المرتقب، والمنقذ المنتظر للبشرية. فقد ورد عنه (ص):

(لاتنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي،

يواطىء اسمه اسمي، يملأها عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً).[٥]

فما زالت البشرية بانتظار هذا المنقذ العظيم، والمصلح الهادي الذي يقيم دولة العدل الالهي، ويقتلع جذور الجاهلية البغيضة.

وقد سجّل لنا التاريخ تعاقب الأئمة (ع) من أهل البيت الذين قال فيهم رسول الله (ص):

(إنما مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق).

وقال (ص):

(إني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً).

فسجّل مواقفهم وأدوارهم العقائدية والجهادية والسياسية، واحداً تلو الآخر، ليؤدي كل واحد منهم دوره ومسؤوليته، وينهض بأعباء الرسالة في عصره ويحمل الراية ليسلمها للامام الذي يليه.

والذي يستقرىء الحديث والتاريخ والتفسير والعقيدة والعلوم والمعارف، ويسبر غور كتب التاريخ والسير، ومعاجم الرجال، والتاريخ السياسي في صدر الاسلام، وفي العصرين الأُموي والعباسي، يجد أن الأئمة الاثني عشر ــ علي وذريته ــ يتعاقبون على حمل الراية

---

٥ ــ محسن الكاشاني: علم اليقين في أُصول الدين /ج ٢ /ص ٧٧٢.

على شكل حلقات تاريخية متعاقبة، وكل واحد منهم امام زمانه، وزعيم عصره في العلم والمعرفة والجهاد. وكانوا جميعا أئمة المسلمين، وقادة الأئمة في عصورهم التي عاشوا فيها. فما كانوا فقهاء منزوين في المدارس والتكايا، ولامتعبدين منقطعين في المحاريب بعيداً عن الحياة، بل كانوا أعلام هدى، ومنار تاريخ، وقادة يشار اليهم بالبنان، وأئمة يفزغ اليهم في حفظ الشريعة والأمة والعقيدة، ترتعد منهم فرائص الطغاة، وتتصاغر أمامهم عبقرية العلماء، ويتواضع بساحتهم تعالي العقول، ونماذج يقتدي بهم الزهاد، وقدوة يحتذي بهم المتعبدون.

لذلك احتل أهل البيت (ع) كل القلوب المؤمنة الطاهرة عبر العصور وعلى مر الأجيال وتعاقب الأزمان. واستطاعوا أن يكونوا نبراس الهداية، ومشعل النور، ومنبع الفيض، وقدوة الانسان، وقادة المسير، ودعاة الايمان، وكلمة الحق تدوّي في مسامع التاريخ، وتقضّ مضاجع الطغاة... فقد امتدَّ أثرهم وسلطانهم بامتداد الهدى، وخلدت حياتهم ومآثرهم خلود الحق. وتلك سنن التاريخ، ومشيئة الله:

«بَلْ نقذفُ بالحقّ علىٰ الباطلِ فيدمَغُهُ فاذا هو زاهِقٌ». (الأنبياء / ١٨).

«فأمّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً وأمّا ما ينفعُ النّاسَ فيمكُثُ في الأرضِ». (الرعد / ١٧).

في حين لم يستطع خصومهم ومناوئوهم أن يحققوا غير نشوة التسلط العابرة وغير الاستمتاع الدنيوي الرخيص.

لذا كانت دراسة تاريخ أهل البيت والتعرف على سيرتهم، واستشفاف سيرتهم عملية فكرية ورسالية ضرورية لأجيال المسلمين، فهم الشخصيات النموذجية التي جسدت الاسلام وصاغته سلوكاً وحياة، وفي كل مجال في الأخلاق والعبادة والكفاح السياسي وشؤون الرعاية والسياسة والعلم.. الخ. فهم مدرسة الاسلام ومعلمو هذه الأُمة وقادة مسيرتها. كان همهم الكفاح المتواصل من أجل الحفاظ على أصالة الاسلام ونقاء رسالته، وتثبيت معالمه، لذلك فان الدارس لتاريخ جهادهم المشرق يشاهد ملحمة الصراع المريرة بينهم وبين خصومهم تدوي في أُفق الزمن، وتذكي روح الجهاد عبر الأجيال.

والامام موسى بن جعفر (ع) هو أحد أئمة أهل البيت الذين يقتدى بهم ويستضاء بسيرتهم الجهادية العطرة، خصوصاً في مقاومة الظلم ومكافحة الحكام المتسلطين والطواغيت المستبدين. فحياته مدرسة أجيال، وسيرته تجسيد لشريعة وحضارة.

وحري بكل مسلم أن يستوحي سيرة هذا الامام العظيم، ويختط طريقه في العلم والعمل والجهاد، فهو من أهل بيت اصطفاهم الله سبحانه من ولد آدم وأذهب عنهم الرجس، وجعلهم قدوة للبشرية، ومناراً للهداية، فهم كما قال فيهم رسول الله (ص):

(نحن أهلُ بيتٍ لا يُقاسُ بنا أحدٌ).

ولا عجب أن يعاني أهل البيت من جور الحكام وظلم الطغاة من

العنت والتشريد والسجن والقتل والملاحقة، فقد كان أئمة أهل البيت والبارزون من رجالاتهم قادة الأُمة، وحملة لواء المعارضة، والدعوة إلى إقامة الاسلام وتطبيق أحكامه... فكان طبيعياً أن تتوجه أنظار المستضعفين والمظلومين تجاههم، وأن تهفو القلوب المعذبة والنفوس المضطهدة نحوهم، وأن يفزع دعاة الحق وأنصار الايمان اليهم... وطبيعي أيضاً ــ وفق منطق التاريخ، وسنن الصراع التاريخي ــ أن يتصدى الطغاة لهذه الطلائع، وأن يعادي الظلمة دعاة الحق وقادة المسيرة، ورسول الله (ص) الناطق بلسان الوحي يشخص هذه الحقيقة ويثبتها بقوله:

(إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة علىٰ الدنيا، وان أهل بيتي سيلقون بعدي اثرة وشدة وتطريداً في البلاد، حتى يأتي قوم من هاهنا ــ وأشار بيده نحو المشرق ــ أصحاب رايات سود فيسألون الحق فلا يُعطونه، فيقاتلون فينتصرون، ويُعطون ما شاؤوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً، فمن أدرك ذلك فليأتهم ولو حبواً علىٰ الثلج).[٦]

وقد أجمع المسلمون على هذا الرجل العظيم الذي هو من أهل بيت النبي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فهو

---

٦ ــ الطبري: المصدر السابق /ص ١٧.

(المهدي) المنقذ والرائد والوارث والمطبق لأحكام الشريعة والمحقق لأهداف الأنبياء (ع) باقامة دولة الهدى، ورفع راية التوحيد على أرجاء المعمورة قاطبة.

واذا كان اولئك أهل البيت وكان الامام موسى بن جعفر (ع) هو فرع دوحة النبوة، وامام أهل البيت في زمانه، فلنتابع حياته النيرة، ولنستعرض جانباً من شخصيته العظيمة الفذة، لنعرف من خلالها دور أهل البيت (ع)، وعظمة جهادهم، وكيف ظلمهم الحكام وزيفوا بالمال والارهاب ووسائل الاغراء حقائق التاريخ. لننظر الى التاريخ من جديد، ونقرأ فصوله المشرقة التي حاول الكتاب الرسميون إخفاء معالمها قراءة ثانية، ولنعيد كتابة التاريخ، ونمحص وقائعة وأحداثه بمنهج نقدي وتحليلي منصف وبروح علمية نزيهة، ليكون التاريخ مدرسة للأجيال، ومعلماً للانسان، ومستودعاً أميناً لحفظ تجربة البشرية كما وقعت أحداثاً وحقائق، لنكتشف عمق الحركة التاريخية، ونشخص قوانين التاريخ الاجتماعي، ونوظف كل هذه النتائج لبناء أُمة الاسلام، وتحديد مسارها الحضاري الناصع.

بين يدي الامام

الامام موسى بن جعفر، الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) سليل أهل بيت النبوة، ووليد بيت الشرف والمجد الرفيع، فأبوه من عرف المسلمون ــ وهو الامام جعفر الصادق (ع) ــ إمام المسلمين واستاذ العلماء والفقهاء، وسيد الطالبيين في عصره من غير منازع.

والامام موسى هو ولده ووارثه في الصفة والمقام، وهو الامام السابع من أئمة المذهب الجعفري: أي مذهب الشيعة الامامية، وأمه جارية أُم ولد اسمها (حميدة)، أندلسية الأصل، ويقال بربرية، وذكر أنها رومية، والأرجح أنها أندلسية، وتكنى لؤلؤة، اشتراها الامام محمد الباقر (ع)، وأهداها لولده الصادق، فأولدها موسى بن جعفر (ع)، وقد اعتنى أبو عبدالله جعفر الصادق (ع) بتربيتها وتعليمها وتثقيفها حتى

صارت عالمة فقيهة مربية... عهد اليها الامام الصادق بتعليم النساء وتفقيههن وإرشادهن إلى أحكام الاسلام وعقيدته ومفاهيمه وأخلاقه.

ولد الامام موسى بن جعفر أيام الخليفة الاموي الجائر عبدالملك بن مروان في (الأبواء) البلد الذي توفيت فيه آمنة بنت وهب أم الرسول الكريم (ص)، ودفنت فيه، بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وكانت ولادته يوم الأحد السابع من شهر صفر سنة ١٢٨ هـ، بشّر به أبوه وهو يتناول طعام الغداء مع جماعة من أصحابه، فتركهم وخفّ لاستقبال المولود الجديد بفيض من الغبطة والسرور، وهالة من الحب والحنان الأبوى الكريم. ولم يقم بعدها طويلاً في الأبواء بل عاد إلى يثرب. وعلى عادة العرب في استقبال مواليدهم، فقد أولم ودعا الناس، واحتفى بالمولود الكريم، وأطعم ضيوفه ثلاثة أيام. وقد توافد الناس على الامام يهنئونه بمولوده الجديد، وهو لايكتم مشاعر الحب والاحتفاء بهذا المولود المبارك، ويصرح:

(وددتُ أن ليس لي ولدٌ غيره لئلا يشركه في حبي أحدٌ).[٧]

فهو يعرف عظمة هذا المولود، ومكانة هذا الوافد الجديد إلى دنيا الأرض، فهو امام وقائد وذو شأن عظيم في تاريخ هذه الأُمة، وخدمة

---

٧ ــ باقر شريف القرشي: حياة الامام موسى بن جعفر /ج ١ /ص ٤٦ /ط ٢.

رسالتها المجيدة.

عاش الامام في كنف أبيه، ودرج في مدرسته العلمية الكبرى التي توافد عليها العلماء والفقهاء والفلاسفة والمحدثون، فورث علوم أبيه، وتشبّع بروحه وأخلاقه، وشبّ على صفاته وخصائصه، فكان مثالاً في الخُلق الرفيع، وفي الكرم والزهد والصبر، ومثلاً أعلى في الثبات والشجاعة ومقارعة الحكام الطغاة. وكانت حياته في ظل أبيه حياة تربية واقتباس ونشأة، وحياته بعد أبيه امتداداً واستمراراً لمسيرة أهل البيت النيرة في العلم والعمل والجهاد والقيادة والامامة.

وقد عبّر الامام جعفر الصادق (ع) عن هذه الحقيقة واصفاً ولده موسى بقوله:

(الحمدُ لله الذي جعلك خلفاً من الآباء، وسروراً من الأبناء، وعوضاً عن الأصدقاء).[٨]

ولجلال قدره وسمو صفاته وكمال ذاته لقّب بـ (العبد الصالح) و (زين المجتهدين) لكثرة عبادته، وتهجّده، و(الكاظم) لشدة تحمله وصبره على الأذى، وكظمه للألم والغيظ، ودماثة خلقه ومقابلته الاساءة بالاحسان، و(باب الحوائج) لوجاهته عند الله وعلو مقامه وقضاء الحوائج بالتوسل به، كما كُني بأبي الحسن الأول، وأبي ابراهيم.

---

٨ ــ العلامة المجلسي: بحار الأنوار /ج ١١ / ص ٢٣٧.

ولقد تحدث الواصفون لهيأته وبنيته الجسدية، فوصفوه بأنه أسمر اللون، حسن الوجه، نحيف الجسم.

وقد عاش مع أبيه عشرين سنة، وقيل تسع عشرة سنة، وعاش بعد أبيه ــ وهي مدة إمامته وقيادته ــ خمساً وثلاثين سنة. وكان يتحمل مسؤولية الامامة وأعباء المسؤولية وعمره عشرون سنة.

وقد أنجب عدداً كبيراً من الذكور والاناث، فالذكورهم: (علي الرضا، ابراهيم، العباس، القاسم، اسماعيل، هارون، الحسن، أحمد، محمد، حمزة، عبدالله، إسحاق، عبيدالله، زيد، الحسن، الفضل، سليمان).

وأما الاناث فهن: (فاطمة الكبرى، فاطمة الصغرى، رقية، حكيمة، أُم أبيها، رقية الصغرى، كلثم، أُم جعفر، لبابة، زينب، خديجة، علية، آمنة، حسنة، بريهة، عائشة، أُم سلمة، ميمونة، أُم كلثوم).[٩]

لقد كانت حياة الامام مدرسة لمن يدرسها ويتأمل فيها، ويستبطن أعماقها وصفحات تاريخها المشرق. من هنا كانت دراسة تاريخ أهل البيت، والتعرف على سيرتهم، وآفاق حياتهم ضرورة تاريخية وحضارية بالنسبة لأجيال المسلمين لأنها تعني التفاعل الحي مع مبادىء الرسالة، وتاريخ الامة المجسد لمبادئها وطموحها وقيمها،

---

٩ ــ علي محمد دخيل: الامام موسى الكاظم / ص ١٠ / ط ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤ م نقلاً عن رواية الشيخ المفيد.

ولأنها المسير النقي لمجرى الحياة الرسالية التي تثبت معالم السير، وصيغة الحياة الاجتماعية لأُمة التوحيد، لانها كانت الجهاد المستمر من أجل فرز الغريب والمدسوس والناشز والمقحم على روح الاسلام، فهي مدرسة وتيار متصل الحلقات تبدو واضحة مشخصة لمن يدرسها من لدن رسول الله (ص) حتى مهدي هذه الامة. فتاريخ الاسلام بقيمه وصراعه ومفاهيمه عن الحياة والحكم والسياسة والشريعة يشخص هذه الحقيقة، ويميز معالم هذه المدرسة، ولذلك كان الامام من أئمة أهل البيت يعين وينص على الامام الذي يليه، ولذا نصّ الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) على إمامة ولده موسى بن جعفر (ع) من بعده بنصوص وعبارات كثيرة ذكرت في كتب التاريخ والامامة، نذكر منها:

(دخل منصور بن حازم على الامام أبي عبدالله يطلب منه تعيين الامام من بعده قائلاً: بأبي أنت وأُمي، ان الأنفس يُغدا عليها ويُراح، فاذا كان ذلك فمن؟. فقال أبو عبدالله: فهذا هو صاحبكم. وأشار الى أبي الحسن موسى، ثم وضع يده على منكب ولده مدلاً عليه، وكان عمره آنذاك خمس سنين).[١٠]

وعن يزيد بن سليط الزيدي قال:

(لقينا أبا عبدالله (ع) في طريق مكة، ونحن جماعة. فقلت له:

---

١٠ ــ الكليني: أُصول الكافي / ص ٣٠٩ /ج ١.

بأبي أنت وأُمي، أنتم الأئمة المطهرون، والموت لا يعرى منه أحد، فأحدث إليّ شيئاً أُلقيه إلى من يخلفني، فقال لي: نعم هؤلاء ولدي، وهذا سيدهم. وأشار إلى ابنه موسى (ع)...).[11]

وكانت فترة اضطلاعه بمهام الامامة من أشد فترات التاريخ الاسلامي محنة وشدة على أهل البيت (ع)، والمستضعفين من طبقات الأُمة. فتحملها الامام بثباته وصبره وتحمله للأذى والاضطهاد حتى سمي بالكاظم لكثرة ما كظم من الحزن والألم والمعاناة.

وستكشف لنا الدراسة الموجزة التي بسطناها في هذا الكتاب عظمة هذا الانسان، وقوة شخصيته، وكم لاقى وتحمل، وكم أعطى هذه الأُمة،وساهم في صنع مجد الاسلام وتاريخه الناصع الوضاء.

العابد المتهجد:

إن قلة المعرفة بالله وغموض الرؤية الربانية عند الانسان المسلم تنتج بالضرورة انقسام الاتجاه، وتنازع النفس، وارتباك وجهة المسير والارتباط بالله. وإن من أبرز مظاهر هذه الوضعية النفسية والفكرية هو الكسل عن العبادة، والتواني في أداء الفرائض، وتعثر العلاقة بين الانسان وبارئه، وصنع شخصية قلقة مزدوجة، تتنازعها

---

١١ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /ص ١٢ / ج ٤٨.

الأهواء، ويقعد بها الصراع الداخلي عن التحمل، ينتابها التأرجح بين هوىٰ النفس وأهداف القيم والمبادىء التي يرسمها لها الاسلام. بعكس الانسان الذي يتمتع بدرجة عالية أو كاملة من المعرفة بالله سبحانه فان شوقه إلى الله مصدر الخير والكمال في هذا الوجود يكون أبدياً لاينقطع، وتعلقه به أحدي لايشوبه دخيل، لذا نجد وحدة الاتجاه، وتمكن عقيدة التوحيد، والاخلاص في العبودية لله وحده، وهيمنة التوجه الرباني المتعالي على عالم الدنيا والمتعلق بالكمال المطلق هو من أبرز صفات العارف الموحد.

والسر الكامن وراء عظمة أهل البيت، وكمال ذواتهم الانسانية، وتميزهم عن سائر الناس هو هذه المعرفة الربانية، والتوجه الخالص إلى الله الأحد المتصف بالخير والكمال الالهي المطلق، وتمكن هذا الاتجاه من نفوسهم، واستيعاب تلك المفاهيم التوحيدية، وانعكاس هذه الرؤية الربانية سلوكاً ومواقف وعملاً انسانياً في حياتهم المثالية الخالدة. فلا عجب إذن إذا رأينا الزهد والتعالي على متع الدنيا والاستهانة بها عند تعارضها مع مبادىء الحق، ومسيرة الكمال في حياة الامام. ولا عجب اذا رأينا الاخلاص لله، والعبودية الصادقة تستولي على قلب الامام، وتملك عليه عواطفه وأشواقه وتوجهاته ومسيره في الحياة. ولا عجب إذا كان الامام موسى بن جعفر يلقب بـ(زين المجتهدين) و(العبد الصالح)، ويوصل ليله بنهاره في العبادة، ويخوض

غياهب السجون، ويضحي بلذائذ الحياة، ويبذل ماله وحياته في سبيل الوصول إلى الله ونيل رضوانه، والعمل على إنقاذ الانسانية ووضعها على طريق الهدى، ومسيرة الايمان الخيّرة.

وقد حدثنا التاريخ عن علاقة الامام بالله، وعن عبادته وزهده وتميز شخصيته في المعرفة الربانية، والتوجه الرباني، وأكد أنه كان (ع) كما كان آباؤه خلقه القرآن، فهو كتاب الله، ووعاء الوحي والرسالة، ومصدر الاشعاع والنور والهداية.

وقد كان الامام موسى بن جعفر دؤوباً على قراءة القرآن، حريصاً على حفظه وترتيله، والعمل بمبادئه وقيمه والتمسك بمنهجه ورسالته.

كان إذا قرأ القرآن تفاعل مع آياته، وانفعل بمحتواه ودعوته. فقد ورد في وصف علاقته بكتاب الله تعالى:

(وكان (ع) أحفظ الناس بكتاب الله تعالى وأحسنهم صوتاً به، وكان إذا قرأ يحزن ويبكي السامعون لتلاوته، وكان الناس بالمدينة يسمّونه زين المجتهدين).[١٢]

وكان لشدة علاقته باللّه، وشوقه إليه، وسعيه إلى رضاه، يسعى

---

١٢ ــ الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري): إعلام الورى باعلام الهدى / ص ٣٠٩ /ط ٣.

حاجاً إلى بيت الله الحرام مشياً على قدميه. فقد روي أنه حجّ أربع مرات ماشياً على قدميه هو وأخوه علي بن جعفر، وكان حجُّه قد استغرق في العام الأول ٢٦ يوماً، وفي العام الثاني ٢٥ يوماً، وفي العام الثالث ٢٤ يوماً، وفي العام الرابع ٢١ يوماً.

أما صلاته وانقطاعه إلى بارئه، ووقوفه بين يدى الله، وتضرعه إليه فلا يضارعه في ذلك الا الهداة، فقد وُصف بأنه: (إذا وقف بين يدي الله يصلي أرسل ما بعينيه من دموع).

وكان (ع) كثير الاستغفار والشكر، فقد قال إبراهيم بن البلاد: (قال لي أبو الحسن: إني استغفرُالله كلَّ يوم خمسة آلاف مرة).

وقال هشام بن أحمر:

(كنت أسير مع أبي الحسن (موسى بن جعفر) في بعض طرق المدينة إذ ثنى رجله عن دابته فخرّ ساجداً، فأطال وأطال، ثم رفع رأسه، وركب دابته. فقلت: جعلت فداك قد أطلت السجود؟ ــ فقال: إني ذكرت نعمة أنعم الله بها علي، فأحببت أن أشكر ربي).[١٣]

لقد كان الامام عابداً قديساً موحداً، قد ملأ الشوق إلى الله قلبه، واستولى حب الله على نفسه، فكان أحب ما في الحياة اليه هو الذكر والعبادة. وكان (ع) يتمنى أن يفرغه الله لعبادته. فقد ذكر أن شخصاً من

---

١٣ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /ص ١١٦ / المجلد ١١/ ج ٤٨.

بعض العيون التي كانت عليه في السجن قد رفع إلى الوالي عيسى بن جعفر أنه سمعه يقول في دعائه:

(اللهم إنك تعلم اني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، وقد فعلت فلك الحمد).[١٤]

فلم يكن الامام ليعبأ بالسجن وليضجر منه، أو يخشى تسلط الطغاة، فهو عالم فريد متعال على عالم الدنيا، لا يرهبه السجن ولا يثنيه الارهاب، فكل هدفه هو التوجه إلى الله ومقاومة الطغاة، والدفاع عن الحق، فهو قد قطع علاقته بلذائذ الحياة، وفرّغ نفسه لعبادة الله، ورصد حياته لخدمة عقيدته والدفاع عنها، وهكذا يكون القائد والامام، قدوة في طريق الهدى، ورائداً في طريق الجهاد، ومثلاً أعلا في التمسك بمنهج الحق ومبادىء الخير، وكيف يعبأ بظلم الطغاة، وإرهاب الظلمة وسجون الجبابرة من يعتبر السجن نعمة؟ والزنزانة المظلمة مسجداً ومحراباً للتقرب والاخلاص؟ وكيف يعبأ بالسجن من تكون له في ساحة السجن سجدة تمتد من بعد طلوع الشمس إلى الزوال؟

فقد ذكر: (أن الرشيد كان يشرف على الحبس الذي هو فيه، فيراه ساجداً، فيقول للربيع: ما ذلك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟ فيخبره: انه ليس بثوب، وإنما هو موسى بن جعفر له كل يوم

---

١٤ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /ص ١٠٧ /ج ٤٨.

سجدة بعد طلوع الشمس إلى الزوال).[١٥]

وكان الناس يعرفون عبادة الامام وانقطاعه وتبتله. فقد تحدث المؤرخون، وأصحاب السير عن عبادة الامام وتهجده فنقلوا:

(قد اشتهر في الناس أن أبا الحسن موسى كان أجلّ ولد الصادق (ع) شأناً وأعلاهم في الدين مكاناً، وأفصحهم لساناً، وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم وأفقههم، وروي أنه كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثم يعقب حتى تطلع الشمس، ثم يخر ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس، وكان يقول في سجوده: **قبح الذنب من عبدك، فليحسن العفو والتجاوز من عندك**).[١٦]

وأضاف صاحب (بحار الأنوار) نقلاً عن كتاب (الارشاد) للشيخ المفيد:

(وكان يبكي من خشية الله حتى تخضلّ لحيته بالدموع، وكان أوصل الناس لأهله ورحمه، وكان يتفقد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم الزبيل فيه العين والوَرِق والأدقة والتمور، فيوصل اليهم ذلك ولا يعلمون من أي جهة هو).[١٧]

وشهد خصمه وسجّانه بورعه وعبادته، فقد ذكر الفضل بن

---

١٥ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / المجلد ١١/ ج ٤٨.

١٦ ــ الطبرسي: المصدر السابق / ص ٣٠٥/ ط ٣.

١٧ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /ص ١٠١.

الربيع أن هارون الرشيد قد شهد بذلك وقال: (أما إن هذا من رهبان بني هاشم. قلت: فما لك ضيقت عليه في الحبس؟ قال: هيهات لا بد من ذلك).[١٨]

وعن حفص عن سلسلة من الرواة قال:

(ما رأيت أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر ــ يعني خوفاً من الله ــ ولا أرجى للناس منه، وكانت قراءته ــ قراءته للقرآن ــ حزناً، فاذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً).[١٩]

تلك صور وشواهد حية وشهادات تحكي لنا عبادة العبد الصالح، الامام موسى بن جعفر، وإخلاصه لله، وخوفه منه، وترسم لنا صورة القدوة والمثل الأعلى في الاخلاص والعبودية لله والحضور بين يديه، فتكشف لنا سر العظمة في شخصية هذا الانسان، وسبب الامامة وهو الربانية الصادقة، وتساقط الحجب بينه وبين الله سبحانه، والتجرد الكامل لله وحده والتعلق المطلق به.

---

١٨ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / المجلد ١١/ ص ٢٢٠ /ج ٤٨ / ط ٢.

١٩ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /ص ١١١.

واهب العفو والحرية:

«الذينَ يُنفقونَ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عنِ النَّاسِ واللّهُ يُحِبُّ المُحسنينَ». (آل عمران / ١٣٤).

أئمة أهل البيت في كل سلوكهم ومواقفهم التي حدّث التاريخ عنها كانوا يجسدون الاسلام حياة، ويحولون مبادئه سلوكاً وعملاً. وقد جاء الاسلام واستهدف أول ما استهدف تحرير الانسان وإطلاق حرية العبيد، وكرّس لذلك المشروع الحضاري الكبير الكثير من المفاهيم والقيم، ورصد الأحكام والتشريعات. وقد ساهم أهل البيت مساهمة فعالة في تحرير العبيد. فالامام علي بن الحسين بن أبي طالب ــ زين العابدين ــ مثلاً كان يسمى محرر العبيد لكثرة ما اشترى وأطلق من العبيد. والزهراء فاطمة بنت رسول الله (ص) ــ أم الائمة ــ تبيع عقدها لتشترى عبداً وتحرره. والامام الكاظم يحرر أعداداً كثيرة من العبيد، وفي موقف حدثنا التاريخ عنه، يجسد هذا الاتجاه الانساني النبيل في أخلاق أهل البيت ويوضح سمّو أخلاقه، وعظيم وفائه، وفيض إحسانه، وعشقه لحرية الانسان، إذ يأتي غلام زنجي مملوك، قد أرهقته العبودية، وقيدته سلاسل التبعية، قد اشتاقت نفسه إلى عبق الحرية، وانطلاقة الأحرار، ولم يجد من يلجأ إليه ليهب له حريته ويعتق رقبته

من قيد العبودية غير سليل النبوة العالم الكاظم موسى بن جعفر يتجه إليه في طلبه، ويقصده في حاجته، وقد عقد الحياء لسانه، وثقلت عليه الكلمة، فاكتفى بعرض حاله على الامام، واختار تقديم الهدية المتواضعة ليكافئه الامام بالحرية، وتجري هذه القصة الشيقة المليئة بالقيم والعبر، والمعبرة عن كرم الأخلاق، وعظم النفس عند أئمة أهل البيت (ع) كما رواها لنا التاريخ كالآتي:

(خرج الامام من يثرب مع حاشيته وبعض أولاده إلى ضياعه الواقعة بساية[٢٠]، وقبل الانتهاء إليها استراحوا في بعض المناطق المجاورة لها، وكان الوقت آنذاك شديد البرد. فبينما هم جلوس إذ خرج اليهم عبد زنجي فصيح اللسان وهو يحمل على رأسه قدراً يفور، فوقف أمام غلمان الامام وقال لهم:

ـ أين سيدكم؟.

ـ هو ذاك ـ وأشاروا إلى أبي الحسن ـ .

ـ أبو من يكنى؟.

ـ أبوالحسن.

فوقف بين يديه وهو يتضرع قائلا له:

ـ يا سيدي: هذه عصيدة أهديتها إليك.

---

٢٠ ـ ساية: واد من حدود الحجاز فيه مزارع.

فقبل الامام هديته وأمره بأن يضعها عند الغلمان، فوضعها عندهم ثم انصرف، فلم يلبث حتى أقبل ومعه حزمة من الحطب فوقف قبال الامام وقال له:

ـ يا سيدي: هذا حطب أهديته اليك.

فقبل عليه السلام هديته وأمره أن يلتمس له قبساً من النار، فمضى قليلاً ثم جاء بالنار، فأمر الامام بكتابة اسمه واسم مولاه، وبعد تسجيله أمر بعض ولده بالاحتفاظ به عند الحاجة، ثم أنهم رحلوا إلى ضياعهم فمكثوا فيها أياماً، وبعدها اتجهوا إلى بيت الله الحرام، فاعتمر (ع) فيه، وبعد فراغه أمر صاعداً أن يفتش عن مالك العبد وقال له:

ـ إذا علمت موضعه فاعلمني حتى أمشي اليه، فاني أكره أن أدعوه والحاجة لي.

فمضى ففتش عن الرجل حتى ظفر به، فعرفه وعرف أنه ممن يدين بالامامة، وبعد السلام عليه سأله الرجل عن قدوم الامام فأنكر عليه صاعد ذلك، ثم سأله عن سبب مجيئه، فأخبره بأن له حوائج دعته إلى السفر، فلم يقتنع الرجل بذلك، وغلب على ظنه تشريف الامام إلى مكة، ثم ودعه صاعد وقفل راجعاً إلى الامام، فتبعه الرجل وسار على أثره، فالتفت صاعد فرآه يسير خلفه، فكلما أراد التخلي عنه فلم يتمكن، فسارا معاً حتى أقبلا إلى الامام، فلما مثلا عنده أخذ (ع) يؤنب

صاعداً على إخبار الرجل بقدومه، فاعتذر له بأنه لم يخبره ولكنه تبعه بغير اختيار منه، وبعد ما استقر الرجل التفت عليه السلام إليه قائلاً:

ـ غلامک فلان تبيعه؟.

ـ جعلت فداک، الغلام لک والضيعة وجميع ما أملک.

ـ أما الضيعة فلا أحب أن أسلبکها.

وجعل الرجل يتضرع إلى الامام ويتوسل إليه ليقبلهما منه، والامام ممتنع من إجابته، وأخيراً اشترى (ع) الغلام مع الضيعة بألف دينار فأعتق الغلام، ووهب له الضيعة، كل ذلک ليجازي الاحسان بالاحسان، ويقابل المعروف بالمعروف، وقد وسع الله على العبد ببركة الامام حتى أصبح أبناؤه من أثرياء مكة وصرافيها).[٢١]

ومما حدث التاريخ عنه من تحرير الامام للعبيد، وإطلاق حريتهم، وفکّ قيودهم هو شراؤه لأُسرة من العبيد تتكون من الأُم والأب والأبناء وعتق رقابهم وإيهابهم الحرية.

فقد ذكر العلامة المجلسي في كتابه الشهير (بحار الأنوار)، عن الكافي وهو ينقل رواية عن سلسلة من الرواة ما نصه:

(محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن علي بن الريان، عن أحمد بن أبي خلف مولى أبي الحسن، وكان اشتراه وأباه وأُمه وأخاه

---

٢١ ـ تاريخ بغداد: ج ١٣/ ص ٢٩ ـ ٣٠. البداية والنهاية: ج ١٠/ ص ١٨٣. نقلاً عن باقر شريف القرشي.

وأعتقهم واستكتب أحمد وجعله قهرمانه...).[٢٢]

فالقارىء لهذه القصة وللقصة التي سبقتها ولأمثالها من القصص والحوادث يعرف جيداً حب الامام للانسانية وعطفه على المستضعفين والمستعبدين، وسعيه من أجل تحرير الانسان ومنحه الحرية وكرامة الحياة، وذلك هو ديدن أهل البيت ومنهجهم في الحياة.

بر وسخاء:

لقد اشتهر الامام موسى بن جعفر بكرم النفس وسخاء اليد والصدقة في السر والعلن، وقضاء حوائج المحتاجين، يحرر العبيد، ويقضي دين الغارم ويصل الرحم.

نقل الشيخ المفيد (رض) في كتاب (الارشاد) متحدثاً عن صفات الامام:

(كان أبو الحسن موسى أعبد أهل زمانه وأفقههم، وأسخاهم كفاً، وأكرمهم نفساً..) إلى أن قال: (وكان أوصل الناس لأهله ورحمه، وكان يفتقد فقراء المدينة في الليل يحمل إليهم الزبيل فيه العين والوَرِق والادقة والتمور، فيوصل إليهم ذلك، ولا يعلمون من أي جهة هو).[٢٣]

---

٢٢ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /المجلد ١١/ ص ١١١/ ج ٤٨.

٢٣ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /ص ١٠١ ــ ١٠٢.

وروى المؤرخون أن الامام كان إذا بلغه عن أحد شيء يسوؤه بعث إليه بالصرة وفيها مائتان إلى ثلاثمائة دينار، فكان يقابل الاساءة بالاحسان، ويغمر الناس بخلقه وكرمه. كان يبعث للمحتاجين والغارمين مثل هذه الصرار، حتى كانت صرار موسى بن جعفر مثلاً يتحدث به الناس.[٢٤]

فقد تحدث محمد بن عبدالله البكري عن كرم الامام موسى بن جعفر (ع) فقال:

(قدمت الى المدينة أطلب بها ديناً فأعياني، فقلت: لو ذهبت الى أبي الحسن فشكوت اليه، فأتيته بنقمى[٢٥] في ضيعته، فخرج إلي ومعه غلام، ومعه منسف فيه قديد مجزّع، ليس معه غيره، فأكل فأكلت معه، ثم سألني عن حاجتي، فذكرت له قصتي، فدخل ولم يقم الا يسيراً حتى خرج إلي فقال لغلامه: اذهب. ثم مدّيده إلي فناولني صرة فيها ثلاثمائة ديناراً، ثم قام فولى، فقمت فركبت دابتي وانصرفت).[٢٦]

ومن مكارم خلقه عفوه عن المسيء، ومقابلته الاساءة بالاحسان (اذا بلغه عن الرجل مايكره، بعث إليه بصرة دنانير، وكانت صراره

---

٢٤ ــ الطبرسي: المصدر السابق /ص ٣٠٧.

٢٥ ــ نقمى: موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب.

٢٦ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /ص ١٠٢.

مابين الثلاثمائة إلى المائتي دينار، فكانت صرار موسى مثلاً).[٢٧]

ومن روائع عفوه وسماحة خلقه:

(ان رجلاً كان يشتم علي بن أبي طالب إذا رأى موسى بن جعفر، ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال: لا. ثم مضى راكباً من قصده في مزرعة له فوطأها بحماره، فصاح: لاتدس زرعنا، فلم يصغ إليه، وأقبل حتى نزل عنده فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له: كم غرمت على زرعك هذا؟ قال: مائة درهم. قال: فكم ترجو أن تربح؟ قال: لاأدري. قال: سألتك كم ترجو. قال: مائة أُخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار، فوهبها له، فقام فقبل رأسه، فلما دخل المسجد، بعد ذلك وثب الرجل فسلم عليه وجعل يقول: اللّه أعلم حيث يجعل رسالته، فوثب أصحابه عليه وقالوا: ماهذا؟ فشاتمهم، وكان بعد ذلك كلما دخل موسى خرج يسلم عليه ويقوم له. فقال موسى لمن قال ذلك القول: أيما كان خيراً، ما أردتم، أو ما أردت؟).[٢٨]

ذلك خلق أهل البيت وهذه سماحتهم، وهذا جانب من عفو الامام وتسامحه وكظمه للغيظ، فحق أن يسمى العبد الصالح، وزين المجتهدين، والكاظم لكثرة ما تحمل وكظم من الأذى والغيظ والألم.

---

٢٧ ــ أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين /ص ٤٩٩.

٢٨ ــ أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق.

وهذا الكرم والعفو والسخاء وحب الحرية إذ يصدر من الامام يختلف عن صدوره من غيره من الذين ينفقون ويبذخون ويعطون بلاحساب، طلباً للسمعة، وشراءً للذمم والضمائر، وتحقيقاً للتفوق والظهور الاجتماعي.

أما الامام، فكمال ذاته وصفاء نفسه يغنيه عن المديح وطلب الجاه والسمعة الاجتماعية، فهو يفعل الخير، فيسخو ويعفو، ويقضي حاجة الملهوف ويحرر العبيد بلاغرض ولاغاية غير حب الخير والقربة من الله سبحانه وتعالى:

«إنّما نُطعمكم لوجهِ اللّهِ لا نُريدُ منكمْ جزاءً ولا شكوراً».

فأخلاقه رشحات ذاته واشعاع نفسه وفيض كماله. من هنا كانت الدوافع والمحفزات لفعل المكارم، وصنع أفعال الخير تختلف عند الامام عن غيره ممن ينفقون طلباً للسمعة والجاه وكسب الآخرين.

فهي منه فيض كماله، وانعكاس صفائه، ومن الواضح أن القيمة الأخلاقية للفعل لاتكمن في حجمه الظاهري المنظور بل في الحافز والغاية الأخلاقية التي على أساسها يوقع الفعل. لذا كانت قيمة الفعل الصادر عن الشخصية المؤمنة النقية كشخصية الامام تختلف عما يصدر من اولئك الذين يستهدفون التعويض وسد النقص المتأصل بذواتهم أو الاشباع الماجن والمسرف لنزواتهم.

مدرسته ومقامه العلمي

أ ــ تعريف بالامام ومدرسته العلمية:

(... وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم وأفقههم).[٢٩]

الامام موسى بن جعفر هو سليل النبوة، ووارث علوم أهل البيت في عصره، فهو تلميذ أبيه جعفر الصادق (ع) استاذ الشريعة وإمام العلماء، والذي قال فيه مالك بن أنس امام المالكية:

(ما رأت عين، ولا سمعت أُذن، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق فضلاً، وعلماً، وعبادة، وورعاً).[٣٠]

ووصفه المؤرخ الشهير اليعقوبي بقوله:

(وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين اللّه، وكان أهل العلم الذين

---

٢٩ ــ الطبرسي: المصدر السابق /ص ٣٠٦.

٣٠ ــ إبن شهراشوب: مناقب آل أبي طالب /ص ٣٧٢ /ج ٣.

سمعوا منه إذا رووا عنه قالوا: أخبرنا العالم).[٣١]

والصادق ليس مجهولاً عند أحد من العلماء والفقهاء والمحدثين، ورواد العلوم والمعارف الاسلامية، فالكل يعرف من هو جعفر بن محمد الصادق (ع). وقد سبق لـ (دار التوحيد) أن أصدرت كتاباً ضمن سلسلة أهل البيت عن الامام جعفر بن محمد (ع)، وعرضنا مافيه الكفاية من التعريف الموجز، ونعود هنا فنواصل الحديث عن سلسلة أهل البيت وامتداد مدرستهم العلمية وتشخصها بموسى بن جعفر في عهده، فقد عهد إليه أبوه الصادق بالامامة بعد وفاته بنصوص كثيرة نذكر منها ما رواه علي بن جعفر ـ أخو الامام موسى بن جعفر ـ وهو من الرواة الثقاة، قال:

(سمعت أبا جعفر بن محمد (ع) يقول لجماعة من خاصته وأصحابه:

استوصوا بابني موسى هذا خيراً فانه أفضل ولدي، ومن اخلف من بعدي، وهو القائم مقامي، والحجة لله تعالى على كافة خلقه من بعدي).[٣٢]

وقوله لأحد أصحابه:

(ان ابني هذا الذي رأيت لو سألته عما بين دفتي المصحف لأجابك

---

٣١ ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب: تاريخ اليعقوبي /ص ١١٩/ ج ٣.

٣٢ ـ الطبري: المصدر السابق / ص ٢٥٩/ ط ٣.

فيه بعلم).[٣٣]

هذه شهادة من إمام المسلمين، وأستاذ العلماء والمتكلمين جعفر بن محمد للامام موسى بن جعفر، لذا فقد حمل الأمانة العلمية بعد أبيه الصادق، ونهض بأعباء الامامة، وحفظ علوم الشريعة، فقد حمل الأمانة العلمية وقام بنشرها، وربّى جيلاً من العلماء والرواة والمحدثين، وكانت مدة ممارسته لهذا الدور العلمي الخطير خمسة وثلاثين عاماً.

ولقد كان عصره عصراً زاخراً بالتيارات والمذاهب الفلسفية والعقائدية، والاجتهادات الفقهية، ومدارس التفسير والرواية. فلقد كانت تلك الفترة أخطر الفترات التي عاشها المسلمون، فقد تسرب الالحاد والزندقة، ونشأ الغلو، وكثرت الفرق الكلامية التي حملت آراء وأفكار اعتقادية شتى، وتعددت مذاهب الفقه، ودخلت علوم عديدة في استنباط الأحكام واستخراجها، كالمنطق والفلسفة والكلام وعلوم اللغة، كما وأُدخل القياس والاستحسان والعمل بالرأي. وحابى بعض الفقهاء والقضاة الحكام باستنباطهم وقضائهم، ورويت الأحاديث المدسوسة والأخبار المزيفة، فكانت هذه الفترة الزمنية فترة خطرة في وجود الاسلام العقائدي والتشريعي.

---

٣٣ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /المجلد ١١/ ص ٢٤/ ج ٤٨. نقلاً عن المناقب لابن شهراشوب: ص ٤١١/ ج ٣.

وعلى الرغم من حراجة الظرف السياسي، وتضييق الحكام على الامام موسى بن جعفر، الا أنه لم يترك مسؤوليته العلمية، ولم يتخلّ عن تصحيح المسار الاسلامي بكل ماحوى من علوم ومعارف واتجاهات. فتصدى هو وتلامذته لتيارات الالحاد والزندقة ـ كما تصدى أبوه الصادق وجده الباقر من قبل ـ لتثبيت أركان التوحيد، وتنقية مدارات العقيدة، وايجاد رؤية عقائدية أصيلة تشع بروح التوحيد، وتثبت في أعماق النفس والعقل، كما أغنى مدرسة الفقه بحديثه ورواياته وتفسيره، وكان بهذه المنهجية يثبت أركان الاسلام، ويعمق أصول التفسير الاسلامي، وينقي مناهج الفقه والتشريع، فحفظ بذلك مدرسة أهل البيت ـ مدرسة الاسلام الأصيلة ـ وأغنى عطاءها وأنمى ثمارها.

ولقد ذكرت كتب الرجال وتراجم الرواة والمعنيين بالحديث أن أكثر من ثلاثمائة راوٍ رووا عن الامام موسى بن جعفر (ع). ويذكر التاريخ العلمي بفخر كوكبة من تلامذة الامام كعلماء أفذاذ، وعباقرة مبرزين، ويذكر للكثير منهم كتباً ومؤلفات وموروثات علمية ثرية، فقد ذكر الشيخ الطوسي:

(اجمع أصحابنا على تصديق ستة نفر من فقهاء الكاظم والرضا وهم: يونس بن عبدالرحمن، وصفوان بن يحيى، وبياع السابري، ومحمد بن أبي عمير، وعبدالله بن المغيرة، والحسن بن

محبوب الراد، وأحمد بن محمد بن أبي نصر).[٣٤]

ومن تلامذته المبرزين أيضا العالم المتبحر في علم الكلام والتوحيد، وصاحب المؤلفات هشام بن الحكم، وعلي بن سويد، ومحمد بن سنان... الخ. وفيما يلي نذكر تعريفاً موجزاً ببعض تلامذة الامام ورواته وأصحابه، لنعرف حجم وعمق الأثر العلمي لمدرسة الامام موسى بن جعفر (ع)، واولئك هم تلامذة الامام:

علي بن سويد السوئي:

روى عن الامام الكاظم والامام الرضا (ع) وله مكاتبات مع أبي الحسن الأول ــ يعني الكاظم ــ يوم كان محبوساً، ويظهر من جواب الامام عليه السلام اليه علو مقامه، وعظم شأنه، وجلال قدره، له كتاب رواه عنه أحمد بن زيد الخزاعي.[٣٥]

محمد بن سنان:

هو محمد بن الحسن بن سنان، نسب إلى جده سنان، لأن أباه الحسن توفي وهو صغير، فكفله جده فنسب إليه. يكني بأبي جعفر،

---

٣٤ ــ إبن شهراشوب: المناقب /ص ٣٢٥ /ج ٤.

٣٥ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / المجلد ١١/ ص ١٧٨ / ج ٤٨. عن شرح مشيخة الفقيه /ص ٨٩.

ويعرف بالزاهري ــ نسبة إلى زاهر مولى عمر بن الحمق الخزاعي ــ من أصحاب أبي الحسن الكاظم وأبي الحسن الرضا (عليهم السلام). له كتب رواها عنه الحسن بن شمون، ومحمد بن الحسين، وأحمد بن محمد، ومحمد بن علي الصيرفي، وغيرهم. وروى عنه جمع من الأجلة، مثل صفوان والعباس بن معروف، وعبد الرحمن بن الحجاج وأضرابهم.[٣٦]

محمد بن أبي عمير الأزدي:

واسم أبي عمير زياد بن عيسى، كان بغدادياً أصلاً ومقاماً، وكان من أوثق الناس عند الخاصة والعامة وأنسكهم وأورعهم وأعبدهم. وحكى عند الجاحظ وقال: كان أوحد أهل زمانه في الأشياء كلها. وقال أيضاً: وكان وجهاً من وجوه الشيعة، حبس أيام الرشيد ليلي القضاء، وقيل بل ليدل على الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر (ع)، وضرب على ذلك وكاد يقر لعظم الألم، فسمع محمدبن يونس بن عبدالرحمن يقول له: اتق الله يا محمد بن أبي عمير، فصبر ففرج الله عنه.

وروى الكشي أنه ضرب مائة وعشرون خشبة أيام هارون، وتولى ضربه السندي بن شاهك، وكان ذلك على التشيع، وحبس فلم

---

٣٦ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / ص ١٧٩. عن شرح مشيخة الفقيه /ص ١٥

يفرج عنه، حتى أدى من ماله واحداً وعشرين ألف درهم.

وروى أن المأمون حبسه حتى ولاه قضاء بعض البلاد. وروى الشيخ المفيد في (الاختصاص) أنه حبس سبع عشرة سنة، وفي مدة حبسه دفنت اخته كتبه، فبقيت مدة أربع سنين، فهلكت الكتب. وقيل أنه تركها في غرفة فسال عليها المطر، لذلك حدّثَ مِنْ حِفْظِهِ، ومما كان سلف له في أيدى الناس. أدرك أيام الكاظم (ع) ولم يحدث عنه[٣٧] وأيام الرضا والجواد (ع)، وحدث عنهما ومات سنة ٢١٧ هـ[٣٨] وقد ذكر المؤرخون أنه ألّف أربعة وتسعين كتاباً في مختلف العلوم والفنون.[٣٩]

هشام بن الحكم:

أبو الحكم هشام بن الحكم البغدادي الكندي مولى بني شيبان ممن اتفق الأصحاب على وثاقته وعظم قدره، ورفعة منزلته عند الأئمة عليهم السلام. وكانت له مباحث كثيرة مع المخالفين في الاصول وغيرها. صحب أبا عبدالله جعفر الصادق (ع)، وبعده الكاظم وبعده

---

٣٧ ــ لم يحدّث عن الامام خوفاً من أن تتكشف العلاقة بينهما فيعرض نفسه والامام للخطر.

٣٨ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق. عن شرح مشيخة الفقيه /ص ٥٦ ــ ٥٧.

٣٩ ــ باقر شريف القرشي: المصدر السابق /ص ٢٩٩ /ج ٢.

الرضا (ع)، وتوفي سنة ١٧٩ هـ بالكوفة.[٤٠]

وقد روى المؤرخون أنه كان غزير العلم، واسع المعرفة، خصوصاً في فلسفة التوحيد والامامة والعقائد، وقد ذكرت له من المؤلفات ثلاثون مؤلفاً.[٤١]

هذه لمحة عابرة عن دور الامام العلمي، وأبرز تلامذته وفقهائه الذين تربوا على يده ومن أخذوا عنه واغترفوا من نمير علومه وفيض معارفه، الذين لازموه وأخذوا عنه.

فقد روى السيد ابن طاووس: (أن أصحاب الامام وخواصه كانوا يحضرون مجلسه، ومعهم في أكمامهم ألواح أبنوس وأميال، فاذا نطق بكلمة، أو أفتى في نازلة بادروا إلى تسجيل ذلك).[٤٢]

ب ــ من معارف الامام في التوحيد:

آمن المسلمون بعقيدة التوحيد وتلقوها بوضوح وبساطة عن نبي الموحدين وداعية التوحيد محمد (ص) وفهموها عن كتاب الله

---

٤٠ ــ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين الحراني (من أعلام القرن الرابع الهجري): تحف العقول عن آل الرسول /ص ٢٨٣ /ط ٥.

٤١ ــ باقر شريف القرشي: المصدر السابق /ص ٣٤٣ /ج ٢.

٤٢ ــ عادل الأديب: الأئمة الاثنا عشر /ص ١٨٦. نقلاً عن الأنوار البهية /ص ٩١٥.

الواضح المبين، بلا تفلسف، ولا تعقيد. فهموا هذه العقيدة وما يرتبط بها من إيمان بالنبوة والوحي والآخرة والجنة والنار، وصفات الله سبحانه وعلاقته بأفعال العباد والمكلفين وبالخلق والرزق والعالم.. الخ، فهماً قرآنياً، تلقوه عن رسول الله واستوعبوه. وعلى مر الايام دخلت الفلسفة والمنطق، ونشأ الجدل، وكثرت الآراء والفرق الكلامية والاعتقادية فيما يخصّ صفات الله سبحانه وأفعال العباد وأحوال الآخرة، وتفسير المسائل الاعتقادية، فنسب بعضهم التجسيم لله سبحانه، وقال آخرون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا على حمار أبيض، وقال البعض الآخر بالجبر والتفويض، وأنكرت فرقة عذاب القبر، وأنكرت فرق أخرى المعاد الجسماني، ونادى آخرون بالتصوف والرهبنة واعتزال الدنيا... الخ. وقد تصدى أئمة أهل البيت لهذا الانحراف ولكل التيارات المنحرفة، هم وتلامذتهم، وخصوصاً في عهد الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام. ووقفوا بوجهها وردوها بالدليل والبينة والمنهج العلمي الرصين.

و ها نحن نذكر أمثلة من معارف الامام في التوحيد والربوبية:

عن الحسن بن عبدالرحمن الحماني قال: قلت لأبي ابراهيم ــ موسى بن جعفر (ع) ــ: إن هشام بن الحكم زعم أن الله تعالى جسم ليس كمثله شيء عالم، سميع، بصير، قادر، متكلم، ناطق، والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد، ليس شيء منها مخلوقاً.

فقال: (قاتله الله، أما علم أن الجسم محدود؟ أو الكلام غير المتكلم؟ معاذ الله، وأتبرأ إلى الله من هذا القول. لاجسم ولاصورة، ولاتحديد، وكل شيء سواه مخلوق، وإنما تكون الأشياء بارادته، ومشيئته من غير كلام، ولاتردد في نفس، ولانطق بلسان).[٤٣]

وحينما ذكر عنده قوم زعموا أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فقال:

(إن الله لاينزل، ولايحتاج أن ينزل، إنما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه بعيد، ولايقرب منه قريب ولم يحتج الى شيء، بل يحتاج إليه كل شيء، وهو ذو الطول لاإله الا هو العزيز الحكيم.

أما قول الواصفين أنه ينزل، تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، فانما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة. وكل متحرك يحتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فمن ظنّ بالله الظنون فقد هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد تحدونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرك، زوال واستنزال، أو نهوض أو قعود، فان الله جلّ وعزّ عن صفة الواصفين، ونعت الناعتين، وتوهم المتوهمين).[٤٤]

وردّ على الذين فسروا قوله تعالى «الرحمٰنُ علىٰ العرشِ استوىٰ» بأنه جلوس على عرش يشبه الكرسي. فرد على ذلك وأوضح:

---

٤٣ ــ الطبري: الاحتجاج / ص ٣٨٥ / ج ٢.

٤٤ ــ الطبري: المصدر السابق /ص ٣٨٦.

(إن معنى «الرحمٰنُ علىٰ العرشِ استوىٰ» هو: استولى علىٰ ما دقّ وجلّ.[٤٥] أي أن الهيمنة متحققة له على الوجود بأسره، فالاستواء هنا يساوي وصفه تعالىٰ بذي الطول المهيمن مع قرب وحضور لايبعد ولايغيب).

وناقشه أحد معاصريه في تفسير قوله تعالى «دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى». وكان هذا الرجل يقول: أرى ها هنا خروجاً من حجب، وتدلياً إلى الأرض، وأرى محمداً (ص) رأى ربه بقلبه، ونسب إلى بصره فكيف هذا؟

فقال له الامام:

(دنا فتدلى، فانه لم يزل عن موضع، ولم يتدل ببدن).

فقال له الرجل:

أصفه بما وصف به نفسه حيث يقول «دنا فتدلّىٰ» فلم يتدل عن مجلسه الا وقد زال عنه، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه.

فقال الامام:

(إن هذه لغة في قريش، اذا أراد رجل منهم أن يقول: قد سمعت. يقول: قد تدليت، وإنما التدلي الفهم).[٤٦]

وفي موضع آخر يوضح العلاقة الحقيقية بين إرادة الله وبين إرادة الانسان، ويفسر كيفية حدوث السلوك البشري، خيره وشره،

---

٤٥ ــ الطبري: المصدر السابق.

٤٦ ــ الطبري: المصدر السابق.

ويؤكد حرية الارادة، وقدرة الانسان على الاختيار في الفعل والترك، وأن الله سبحانه لم يصادر إرادة الانسان، وأن هذا الاختيار عند الانسان لايعني أن الله غير قادر على منع العباد من فعل الشر، أو اجبارهم على فعل الخير، ولكن ليبلوهم ويختبرهم، وفي ذلك قال (ع):

(إن الله خلق الخلق، فعلم ما هم إليه صائرون، فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولايكونون آخذين، ولاتاركين الا باذنه، وماجبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى، وكما قال: «ليبلوكُمْ أيّكُمْ أحسنُ عملاً».[٤٧]

وبهذا البيان العقائدي يقدم الامام المرتكزات الأساسية لتفسير السلوك ويثبت معالم الفلسفة السلوكية للحياة من خلال فهم توحيدي وإيضاح للعلاقة بين إرادة الله وقدرته وعلمه، وبين إرادة الانسان وقدرته، ويربط بين القدرة على الاختيار، وبين الالتزام والمسؤولية ــ الجزاء ــ ويؤكد علاقة هذا الاختيار البشري ودوره في الكشف عن هوية الانسان وحقيقته الباطنة سلوكاً ومواقف، وتعبيره عن محتوى ذاته، بقوله (ع): **(ولكن ليبلوهم ويختبرهم).**

---

٤٧ ــ الطبري: المصدر السابق /ص ٨٧.

ج ــ الامام يثبت المصادر الأساسية للفكر والتشريع:

وكما قرأنا بعضا من معارفه وتوجيهاته في علم التوحيد والعقيدة وتفسير السلوك الانساني، نقرأ في موضع آخر من أُفق معارفه أفكاراً ومفاهيم وقواعد أساسية لضبط موازين الفقه والاستنباط والفكر، أوضحها وثبّتها الامام في رسالة كتبها بناء على طلب الخليفة العباسي هارون الرشيد، إذ قال له: بحق آبائك لما اختصرت كلمات جامعة لما تجاريناه[٤٨]. فقال (ع): نعم. وأُوتي بدواة وقرطاس فكتب:

(بسم‌الله الرحمن الرحيم، جميع أمور الأديان أربعة، لااختلاف فيه، وهو اجماع الأُمة على الضرورة التي يضطرون إليها، الأخبار المجمع عليها، وهي الغاية المعروض عليها كل شبهة، والمستنبط منها كل حادثة، وهو اجماع الامة. وأمر يحتمل الشك والانكار، فسبيله استيضاح أهليه لمنتحليه بحجة من كتاب الله مجمع على تأويلها، وسنة مجمع عليها لا اختلاف فيها، أو قياس تعرف العقول عدله ولايسع خاصة الأُمة وعامتها الشك فيه والانكار له، وهذا الأمران من أمر التوحيد فما دونه وإرش الخدش[٤٩] فما فوقه. فهذا المعروض الذي يعرض عليه أمر الدين، فما ثبت

---

٤٨ ــ لما تجاريناه: لما تحاورنا به وناقشناه، إذ جاء الطلب بعد حوار ونقاش.

٤٩ ــ الارش: التعويض المالي. الخدش: الجرح الطفيف الذي لاعمق له في الجسم.

لک برهانه اصطفيته، وما غمض عليک صوابه نفيته. فمن أورد واحدة من هذه الثلاث فهي الحجة البالغة التي بيّنها الله في قوله لنبيه: «قل فللّه الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين». يبلغ الحجة البالغة الجاهل فيعلمها بجهله، كما يعلمه العالم بعلمه، لأن الله عدل لايجور، يحتجّ على خلقه بما يعلمون، ويدعوهم إلى ما يعرفون لا إلى مايجهلون وينكرون).[٥٠]

وهكذا يثبت الامام مصادر العقيدة والتشريع ليحفظ العقل والتفكير والسلوک من خطر الانحراف والانزلاق، فيحددها في القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة، ثم يأتي دور القياس المستند إلى الكتاب والسنة، أي القياس الذي يمارس فيه الفقيه والباحث دور تطبيق الكليات التشريعية الثابتة في الكتاب والسنة على جزئياتها أو يرد الفروع إلى أُصولها. والامام كان يحدد نوع القياس صيانة للتفكير والاستنباط الفقهي والعقائدي من خطر الخطأ المنهجي، وعدم الاستفادة من الكتاب والسنة استفادة علمية مستقيمة مع مايحتج به هذان المصدران، لذلک نراه يدعو إلى توحيد الفهم والتفكير ومنهج التحصيل والاستنباط ليحفظ نقاء الشريعة وأصالتها من جهة، وإثراء الفكر والتشريع من جهة أُخرى، فيقرر ضرورة جعل المفاهيم القرآنية المحددة التأويل والسنة الصحيحة الثابتة أساساً ومنطقاً لاستنباط

---

٥٠ ــ الحراني: المصدر السابق /ص ٣٠٠ /ط ٥.

الأفكار والمفاهيم والأحكام، كما جعل القياس الذي تدرك العقول العلمية الناضجة استقامته أداة وطريقة لاستنباط الأفكار والمفاهيم والأحكام من هذين المصدرين. فلا التأويلات القرآنية المتعددة عند المفسرين، ولا الروايات والأخبار الواردة من كل راوية، ولا القياس الشكلي الظاهري الذي يوهم المستنبط بصحة استنباطه تصلح أن تكون أساساً للفهم العقائدي، أو الاستنباط التشريعي.[٥١]

والامام بتحديده لمنابع الفكر والتشريع جعل القرآن الكريم والسنة الصحيحة الثابتة هما المعين والمنبع والرافد للفكر العقائدي والمدد التشريعي اللذين يستنبط منهما، أي يقاس عليهما القياس الذي يعني التفريع عليهما.

وكما مرّ علينا فقد رأينا كيف أن الامام ربى جيلاً من الفقهاء والعلماء والرواة.. وأفاض على أصحابه وتلامذته ومعاصريه الفتاوى والأحكام والدروس والمحاورات.. الخ.

وقد سجل لنا التاريخ مناظرات علمية دارت بينه وبين رجال الفكر والفقه في عصره أمثال أبوحنيفة، وأبو يوسف قاضي قضاة الرشيد وغيرهم، وخضوعهم لأحكامه وفتاواه وتسليمهم له.

كما روى عنه امام الحنابلة أحمد بن حنبل بثقة وإجلال، وقد

---

٥١ ــ الاستنباط: مصطلح فقهي يعني استخراج الأحكام الفقهية الفرعية والقوانين الخاصة بتنظيم الحياة الانسانية من أدلتها التفصيلية.

أكد ذلك جمع من الرواة والمؤلفين والمعنيين بشؤون الأحاديث فقد روى عن الامام أحمد بن حنبل أنه (قال: حدثني موسى بن جعفر، قال: حدثني أبوجعفر بن محمد، وهكذا إلى النبي. ثم قال أحمد: وهذا اسناد لو قرىء على المجنون لأفاق).[٥٢]

د ــ العقل وقيمته العلمية والسلوكية عند الامام:

للعقل قيمته وأهميته ومقامه العظيم في الاسلام. فبه يعرف الله سبحانه وتعالى وتدرك عظمته، وبه تكتشف العلوم والمعارف، وترتقي صورة الحياة الانسانية، وبه يسلك الانسان طريق الهدى ويميز الخير من الشر، وبه تكتمل انسانية الانسان وقيمته. لذا فقد أولى الاسلام العقل أهمية كبيرة، فاحترم العقل والعقلاء، وعظم العلم والعلماء، وأوجب التفكير، وأوصى بتحريك العقل وإعماله وفتح الآفاق ــ آفاق البحث والتفكير والا بداع الملتزم أمامه ــ.

والامام موسى بن جعفر (ع) عندما يصف العقل ويتحدث عن قيمته وأهميته، انما يتحدث بلسان القرآن ويثبت رأي الاسلام. وتعتبر هذه الوصية التي أوصى بها الامام هشام بن الحكم ــ أحد تلامذته ــ من أجلّ الوصايا والتعريفات التي وردت في العقل وقيمته ومسؤوليته.

---

٥٢ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /المجلد ١١/ ص ١٠٦.

وها نحن نذكر هذه الوصية الجليلة، والأفكار العلمية الثمينة. ونظرا لطولها فانّا نقتبس بعضاً من نصوصها، ونزين هذا الكتاب بجمال لآلئها.

قال (ع):

(إنّ الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقول والفهم في كتابه بقوله: «فبشّر عبادِيَ الذينَ يستمعونَ القولَ فيتّبعونَ أحسنهُ، أولئكَ الذينَ هداهمُ اللهُ وأولئكَ هم أولوا الألبابِ».

يا هشام: إن الله عزّوجلّ أكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضى إليهم بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالادلاء.

يا هشام: ثم بيّن أن العقل مع العلم، فقال: «وتلكَ الأمثالُ نضربُها للناسِ ومايعقِلُها إلا العالمون».

يا هشام: إن الله يقول: «ولقدْ آتينا لقمانَ الحكمةَ»، قال: الفهم والعقل.

يا هشام: إن لقمان قال لابنه (تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيّس لدى الحق يسير. يا بُني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الايمان، وشراعها التوكل، وقيّمُها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر.

يا هشام: لكلّ شيء دليل، ودليل العاقل التفكر، ودليل التفكر الصمت، ولكل شيء مطية، ومطية العاقل التواضع، وكفى بك جهلاً أن

تركب ما نهيت عنه.[٥٣]

يا هشام: إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول.

يا هشام: من هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

يا هشام: نُصب الخلق لطاعة الله، ولانجاةَ إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلم، والتعلم بالعلم يعتقد، ولاعلم إلا من عالم رباني، ومعرفة العالم بالعقل.

يا هشام: ان العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا.

يا هشام: كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يقول: (ما من شيء عُبِدَاللهُ به أفضل من العقل).

يا هشام: ان أمير المؤمنين كان يقول: (لايجلس في صدر المجلس[٥٤] إلا رجل فيه ثلاث خصال: يجيب إذا سُئل، وينطق إذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شيء منهن فجلس فهو أحمق).

وقال الحسن بن علي (ع): (اذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها). قيل: يابن رسول الله، ومن أهلها؟. قال: (الذين قصّ الله في كتابه ذكرهم،

---

٥٣ ــ يعني ما نهاك الله عنه.

٥٤ ــ لايجلس في صدر المجلس: لايترأس الاجتماع ولا الجماعة.

فقال: «إنما يتذكر أولوا الألباب» ـ قال: هم أولوا العقول).

وقال علي بن الحسين (ع): (مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وأدب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المروءة، وارشاد المستشير قضاء لحق النعمة، وكفّ الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً).

يا هشام: إن العاقل لايحدث من يخاف تكذيبه، ولايسأل من يخاف منعه، ولايعد مالايقدر عليه، ولايرجو مايعنف برجائه، ولايتقدم على مايخاف العجز عنه، وكان أمير المؤمنين (ع) يوصي أصحابه ويقول: (أوصيكم بالخشية من الله في السر والعلن، والعدل في الرضى والغضب، والاكتساب في الفقر والغنى، وأن تصلوا من قطعكم، وتعفوا عمن ظلمكم، وتعطفوا على من حرمكم، وليكن نظركم[٥٥] عبراً، وصمتكم فكراً، وقولكم ذكراً، وطبيعتكم السخاء، فانه لايدخل الجنة بخيل، ولايدخل النار سخي)[٥٦].

يا هشام: أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله بعد المعرفة به الصلاة، وبر الوالدين، وترك الحسد والعجب والفخر.

يا هشام: إن المسيح قال للحواريين: (إن الناس في الحكمة رجلان:

---

٥٥ ـ نظركم: تفكركم.

٥٦ ـ لايكون ذلك الا مع الايمان.

فرجل أتقنها بقوله وصدقها بفعله، ورجل أتقنها بقوله وضيعها بسوء فعله، فشتان بينهما، فطوبى للعلماء بالفعل، وويل للعلماء بالقول... اجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى، ولاتجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات، إن أجزعكم عند البلاء لأشدكم حباً للدنيا، وإن أصبركم على البلاء لأزهدكم في الدنيا... ومايغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة.

لاتكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب، ويمسك النخالة، كذلك أنتم تُخرجون الحكمة من أفواهكم، ويبقى الغل في صدوركم. يا عبيد الدنيا: إن مثلكم مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه، يا بني اسرائيل: زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثواً على الركب، فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر).

يا هشام: بئس العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه إذا شاهده، ويأكله إذا غاب عنه، إن أُعطي حسده، وإن أُبتلي خذله... إن أسرع الخير ثواب البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وإن شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه، وهل يُكبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلا حصائدُ ألسنتهم، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه.

يا هشام: إياك والتكبر، فانه لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر، الكبر رداء الله، فمن نازعه رداءه أكبّهُ الله في النار على وجهه... ومن تواضع لله رفعه.

يا هشام: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فان عمل حسناً

استزاد منه، وإن عمل سيئاً استغفرالله منه وتاب إليه... وعليك بالاعتصام بربك والتوكل عليه، وجاهد نفسك لتردّها عن هواها...).[٥٧]

هذه إضمامة زهر من رياض معارفه المونقة، تفوح بشذى العلم، وتعبق بعطر الاخلاص، وتزهر بجمال العبادة والربانية... إنها رياض النبوة... وعبق القرآن، وأزاهير الاسلام المؤتلقة، هدى ومعارف في نفسه النقية الصافية.. فحري بنا ونحن نقف في كتابنا هذا على باب روضه الندي، ونحلق في آفاقه الواسعة الرحبة أن نقتبس من نور علمه، ونستضيء بمعالم هديه كي لاتضل المسيرة أو تضطرب الرؤية، فهذا الذي بين أيدينا تراث وثروة فكرية وحضارية فذة تساهم في بناء الانسان وتصحيح مساره، ثروة ليس لأُمة وشعب مثلها... فنحن عندما نقف على هذه المناجم والكنوز الفكرية والتربوية الغنية علينا أن نستثمرها ونوظف ثروتها في تغيير الحياة الاجتماعية، وبناء الحضارة الاسلامية، وتربية الانسان المؤمن الملتزم. وليس في دنيا الاسلام من لهم حق تصميم صورة الانسان والحياة، أو تخطيط معالمها وهندسة هيكلها كالأئمة الهداة من أهل بيت النبوة، بما تفردت به شخصياتهم من صفاء النفس، وطهارة الوجدان، واستقامة السلوك، وتكامل العقل الشرعي، ونضج الوعي العلمي للحياة، وعمق الحس الرباني لديهم،

---

٥٧ ــ الحراني: المصدر السابق /ص ٢٨٣ /ط ٥.

وتلقّ كامل للشريعة إبنا عن أب عن جد عن رسول الله عن لسان الوحي الأمين. فبهم يقتدي المؤمن، وعلى هداهم يسير رائد الاصلاح والتغيير، وبمنهجهم يستمسك السالكون إلى الله طريق القرب منه والوصول إليه.

و ـ اضمامة من معارفه في التربية والتوجيه:

وهذه إضمامة أُخرى من لآلىء بحره العميق، وحزمة نيرة من شمس معارفه المتوهجة، تزين عقول العارفين، وتضيء نفوس الباحثين عن الهدى والاستقامة. هذه معارف تربوية، وقواعد عامة للسلوك والأخلاق والعبادة والتفكر نقتبسها من إمام المسلمين، وهداية الأنام والعالمين، الامام السجين الشهيد موسى بن جعفر الكاظم (ع)، نذكرها لتكون مناراً للقارىء وهداية للمهتدي.

قال (ع):

(ينبغي لمن يعقل عن الله أن لايستبطئه في رزقه، ولايتهمه في قضائه).

وسئل عن اليقين فقال (ع):

(يتوكل على الله، ويسلم لله، ويرضى بقضاء الله، ويفوض إلى الله).

(من تكلّم في الله هلك.[58] ومن طلب الرئاسة هلك.[59] ومن دخله العجب هلك).

(ليس حسن الجوار كفُّ الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى).

وقال لبعض ولده:

(يا بُني إياك وأن يراك الله في معصية نهاك عنها، وإياك وأن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها، وعليك بالجد، ولاتخرجن نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته، فان الله لايعبد حق عبادته، وإياك والمزاح، فانه يذهب بنور إيمانك، ويستخف مروتك، وإياك والضجر والكسل، فانهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة).

وقال لزياد بن أبي سلمة... وهو يحدد الموقف من حكام الجور ويؤكد وجوب المقاطعة وفرض الحصار عليهم:

(يا زياد لئن أسقط من شاهق، فاتقطّع قطعةً قطعةً أحبُّ إليَّ من أن أتولَّ لهم عملاً، أو أطأ بساط رجل منهم).[60]

---

٥٨ ــ يعني من جادل في ذات الله، وأراد أن يعرف حقيقة ذات الله، فانه يعجز لأن ذلك فوق طاقة العقول، و هو منزه أن تحيط به العقول أو تعرف كنهه، وبالتالي تستولي عليه الحيرة والضلال فيهلك.

٥٩ ــ من جعل الرئاسة غاية و هدفاً له، لا وسيلة لاقامة الحق.

٦٠ ــ عادل الأديب: المصدر السابق /ص ١٨٧. نقلا عن الشيخ الأنصاري /باب الولاية من قبل الجائر.

(إذا كان الجور أغلب من الحق، لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه).

(اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقاة الذين يعرفونكم عيوبكم، ويخلصون لكم في الباطن. وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات، لاتحدثوا أنفسكم بفقر ولابطول عمر، فانه من حدث نفسه بالفقر بخل، ومن حدثها بطول العمر يحرص. اجعلوا لأنفسكم حظاً من الدنيا باعطائها ماتشتهي من الحلال، ومايثلج من المروة، وما لاسرف فيه، واستعينوا بذلك على أمور الدين فانه روي: (ليس منا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه).

(يعرف شدة الجور من حكم به عليه).

(المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان).

(أبلغ خيراً، وقل خيراً، ولاتكن إمَّعَةً)، قلت: وما الامّعة؟ قال: (لاتقل أنا مع الناس، وأنا كواحد من الناس[٦١]. إن رسول الله قال: (يا أيُّها الناس إنما هما نجدان نجد خير ونجد شر، فلايكن نجد الشر أحبّ إليكم من

---

٦١ ــ حديث الامام متضمن معنى حديث رسول الله (ص) الذي نصه: (لاتكن إمّعة: تقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم: إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم).

نجد الخير).[٦٢]

ذلك عرض موجز لقبس من علوم الامام ومعارفه وتوجيهاته التي اكتفينا بعرضها دون شرحها وكشف مضامينها فهي واضحة جلية للقارىء، ترسم أمامه طريق الهدى، وتثبت له معالم السلوك الاسلامي القويم. فحري بنا أن نتأمل في شخص هذا الامام العظيم وفي شخصيات الأئمة من أهل البيت (ع) وندرس بوعي وعمق وتجرد موضوعي نزيه آثارهم ومنهجهم و معارفهم في العقيدة والتشريع والأخلاق والتربية والهدى، فنجعلهم قدوة لنا، وأئمة يهدون مسيرتنا.

«أولئكَ الذينَ هدى اللهُ فبِهُداهم اقتدِه».

---

٦٢ ــ أُخذت الروايات الآنفة الذكر جميعها من كتاب «تحف العقول» الآنف الذكر، باب ما روي عن الامام موسى بن جعفر.

نظرة
في الظرف السياسي والاجتماعي
الذي أحاط بعصر الامام

ولد الامام موسى بن جعفر في أواخر الحكم الأموي، فقد زال هذا الحكم والامام صبي لم يتجاوز الخامسة من عمره الشريف... زال هذا الحكم وكان الناس ينتظرون إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية، وكان أهل البيت والطالبيون أكثر الناس إرهاقاً وظلامة تحت كابوس هذا الحكم المنقرض، فقد ولغ حكام بني أُمية بدماء أهل البيت والطلائع من الطالبيين عموماً ومن ذرية علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء خصوصاً وأذاقوهم وأتباعهم أشد أنواع الظلم والاضطهاد. وكان أشدها قسوة ومرارة على أهل البيت (ع) فاجعة

الطف ــ فاجعة كربلاء التي استشهد فيها السبط الحسين بن علي بن أبي طالب وعدد من أهل بيته وأصحابه على يد الحاكم الاموي يزيد بن معاوية في العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ. وشهادة حفيده زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عام ١٢١ في شهر صفر على يد الحاكم الاموى هشام بن عبدالملك.

وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني ثلاثة وثلاثين قتيلاً قتلوا على يد الحكام الأمويين، من ذرية آل أبي طالب، ابتداءً من الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ابني علي (ع) وفاطمة بنت رسول الله (ص) ومن عهد معاوية بن أبي سفيان وحتى آخر الدولة الاموية، وكلهم من ذرية علي وجعفر وعقيل بن أبي طالب والحسن والحسين ابني علي وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وممن شهد الناس بفضلهم و ورعهم ودفاعهم عن الحق.. قتلهم بنو أمية ظلماً وعدواناً.. قتلوهم لأنهم لم يرضخوا للظلم ولم يرضوا بالهوان.. وأعلنوا الثورة والمعارضة من أجل حماية الاسلام وتطبيق أحكامه. كما ذكر أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتل الطالبيين) أن اثنين وثلاثين من آل أبي طالب قتلوا ابتداءً من تسلم أبي العباس السفاح السلطة وحتى وفاة الامام موسى بن جعفر (ع)، وكان أشهرهم الشهيد محمد بن عبدالله بن الحسن ــ النفس الزكية ــ المقتول سنة ١٤٥ هـ، والشهيد الحسين بن علي بن الحسن ــ شهيد فخ ــ الذي استشهد في الثامن من ذي الحجة

سنة ١٦٩ هـ عند بئر فخ قرب مكة المكرمة على يد الحاكم العباسي موسى الهادي بن أبي جعفر المنصور، وشهادة سيد أهل البيت وامامهم موسى بن جعفر في الخامس والعشرين من شهر رجب عام ١٨٣ هـ على يد الحاكم العباسي هارون الرشيد. بيد أن هذه الأسماء هي أشهر من قتل في هذه الفترة من الحكم العباسي من وجوه الطالبيين وقادتهم وطلائعهم، أما عددهم الحقيقي فلم يحصه المؤرخون، وهم أضعاف هذا العدد كما تشير الأحداث وكتب التاريخ إلى ذلك.

إن دراسة الفترة التاريخية التي عاشها الامام الكاظم تمثل أهم مساحة في تاريخ بني العباس، كما وأنها من الفترات الصعبة في حياة أهل البيت... فقد طارد العباسيون ذرية الامام علي بن أبي طالب وأتباعهم، وتتبعوهم في كل ناحية ومصر، وجندوا الأموال والأعوان من أجل استئصال العلويين والقضاء على طلائعهم وقياداتهم خوفاً من ثوراتهم وسمو مكانتهم في نفوس الخاصة والعامة من أبناء الأُمة.

لقد زخرت هذه الفترة التاريخية التي عاشها الامام بالاحداث والوقائع التاريخية الخطيرة، ولقد كان أبرز مافيها الثورات والسجون والملاحقات والقتل الفردي والجماعي لآل علي بن أبي طالب وأتباعهم وبني عمومتهم من الطالبيين، فتاريخ هذه الفترة من حياة المجتمع الاسلامي كانت فترة مظلمة من الناحية السياسية.. فترة انتشر فيها الارهاب والقتل على الظن والتهمة، واستئثار بني العباس ومن

والاهم بالحكم والادارة والقضاء، والاستهانة بكرامات الناس، حتى أصبح السجن والضرب والقتل لأتفه الأسباب شيئاً عادياً، فكان نظام الحكم في دولة العباسيين نظاماً امبراطورياً وراثياً دكتاتورياً، تخضع فيه الأمصار والولايات الى حكم الاقطاع السياسي.. فالولاة يحكمون ويعبثون ويتصرفون كيف شاؤوا ما زالوا محافظين على طاعة الخليفة المركزية وأمر الخليفة العباسي.

فالمطلوب هو الولاء للخليفة العباسي، لابسط العدل وإقامة الاسلام وتطبيق أحكامه وإصلاح أوضاع الأُمة. فلم يكن يهم الحكام شيء سوى كراسيهم وملذاتهم والتخلص من خصومهم.

وفي هذه الفترة انتشر المجون واللهو والطرب، وغصت قصور الخلفاء والأُمراء والولاة والوزراء والحواشي بالجوار والحسان، وبأدوات اللهو وبالمغنين والمطربين، و بالشعراء المتملقين المتعبدين للدرهم والدينار.

واشتغل الحكام باقتناء الجواري[٦٣] والمجوهرات والعطور

---

٦٣ ــ نقل المؤرخون أن الرشيد خلّف بعد موته مائة مليون دينار، وأكثر من ذلك قيمة الجواهر والموجودات، واقتنى ٢٠٠٠ جارية، وإن ثمن إحداهن بلغ مليون ونصف المليون درهم. وكما أسرف الرشيد فان زوجته زبيدة أيضاً كانت تعبث بأموال الأُمة وقوت فقرائها، فقد كانت تلبس الخفاف المرصعة بالجوهر، وأنفقت أكثر من مليون دينار ذهب لصنع بساط من الديباج يحوي مختلف أنواع الطيور المصنوعة من خيوط الذهب وعيونها من الياقوت الأحمر... الخ.

والألبسة ووسائل اللهو واللذة والترف وبناء القصور، فأنفقوا الملايين وضيعوا أموال الأُمة التي حلبوها من شرايين الكادحين، أو اغتصبوها وصادروها من المظلومين والمطاردين والمحكوم عليهم بالسجن والقتل.

هذا فيما يخص الوضع السياسي والاجتماعي، أما بالنسبة للجانب العلمي فقد كانت الحياة العلمية والأدبية والثقافية زاهرة في المجتمع الاسلامي... فقد تطورت العلوم والمعارف والآداب والفنون والاكتشافات فبلغت مرحلة راقية متطورة، كما اتسعت الدراسات الدينية ونشطت الفرق والمذاهب الفلسفية والكلامية والفقهية. وكان لهذه التيارات آثارها السلبية إلى جانب الأثر الايجابي، فمن آثارها السلبية الخلاف والفرقة بين المسلمين وانقسامهم إلى مذاهب وفرق فقهية وكلامية مزقت المجتمع الاسلامي وشتّتت شمل المسلمين، كما ساعدت على نمو الشك والالحاد والزندقة والدس والتشويه في عقيدة المسلمين وتشريعهم. وأما جانبها الايجابي فقد كان في تنمية الفكر والتفكير الاسلامي، واخصاب العقلية الاسلامية ودفعها الى الابداع والابتكار والمواجهة العلمية المنظمة، وتعميق الدراسات الاسلامية وتوسيع آفاقها ومداراتها بشتى فنونها.

ولقد كان للامام موسى بن جعفر كما كان لأبيه الصادق (ع) دور بالغ في الوقوف بوجه الانحراف السياسي والعقائدي والأخلاقي

والاجتماعي الذي أوجده أو ساعد على وجوده الحكم العباسي. ورغم أن ظروف الامام الكاظم السياسية كانت صعبة للغاية، والحصار والتضييق عليه كان أشد من الحصار والتضييق المضروب حول أبيه الصادق، وعلى الرغم من مراقبته وحبسه في السجون والمعتقلات مدة عدة سنوات الا أنه لم يترك دوره ومسؤوليته، فقد ربى جيلاً من العلماء والرواة والمحدثين، وساهم مساهمة فعالة في إيقاف الانحراف الذى حملته بعض تيارات الفلسفة والعقائد وعلم الكلام المتأثرة بالغزو الفكري والشطط العقائدي، وناقش الاتجاهات الفقهية والتشريعية في عصره وبيّنَ مواقع الضعف والقصور والخطأ فيها. وكان يواصل مهامه العلمية وهو في سجنه. فقد روى المؤرخون أن بعض العلماء وبعض أصحابه وتلامذته كان يتصل به سراً في السجن، ويسأله عن المسائل والقضايا والأحكام فكان يراسلهم ويجيبهم.

ونظرا للظرف السياسي الصعب الذي أحاط بالامام ومحاربة الحكام العباسيين له خلال مدة إمامته بعد أبيه الصادق التي دامت خمساً وثلاثين سنة ومنذ ان كان عمره الشريف عشرين سنة حتى شهادته. لذلك فان الباحث والمحقق يشاهد أن نسبة ما ورد من حديث ورواية وعطاء علمي للامام الكاظم يعتبر قليلاً إذا ما قيس بأبيه الصادق وجده محمد الباقر (ع).

ولئن برز دور الامامين الباقر والصادق (ع) في جانب العلوم

والمعارف واظهار علوم أهل البيت وتحديد معالم مذهبهم ومنهجهم في الفقه والعقيدة والتفسير والسياسة والأخلاق.. الخ، الذي رووه عن أبيهم السجاد عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله (ص) فتحددت معالمه وأصوله وشخصيته العلمية والعقائدية والتعبدية، فقد برز دور الامام الكاظم واضحاً في الكفاح والجهاد السياسي، ومواجهته للحكام في السجون والمعتقلات والصراع السياسي غير المسلح، فجسّدَ هذا الجانب من منهج أهل البيت، ودورهم الرسالي في خدمة العقيدة والشريعة الاسلامية، فقد كان أهل البيت وأتباعهم يقودون على طول المسيرة خط المعارضة والمواجهة للظلم والتحلل والانحراف والطغيان، من أجل النهوض بأعباء الدعوة الاسلامية، والحفاظ على نقاء الاسلام، وضمان تطبيق قوانينه ونظمه والالتزام بقيمه وأخلاقه وبناء المجتمع والدولة، وسلوك الفرد والجماعة على أساسه.

لذلك عانوا العنت والتشريد والتقتيل، وذلك شأن كل دعاة الاسلام، ورواد الهدى والاصلاح على طول خط الدعوة الالهية وامتداد جذورها، من لدن آدم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فالصراع بين الحق والباطل والهدى والضلال صراع دائم وحقيقة قائمة على امتداد مسيرة التاريخ البشري، فحركة التاريخ ومسيرة الانسان يحركها الصراع ويدفعها باتجاه الحق أو الباطل تبعاً

لطبيعة القوى المتحكمة في الصراع والمسيطرة على صنع الأحداث والمواقف، وتلك حكمة الله ومشيئته ليميّز الله الخبيث من الطيب وليمحّصَ الناس، ولتتكشف الحقائق وتتجسد الدوافع والنوازع البشرية الكامنة في ذات الانسان سلوكاً وعملاً وصيغة انسانية منظورة.

والذي يدرس التاريخ ويحلل العوامل والدوافع المتحكمة فيه يشاهد دور الرسالات الالهية، وأثر الانبياء ودعاة الايمان وأئمة الهدى واضحاً ومشخصاً موقعه وتأثيره في تاريخ الصراع وبناء الحضارة وغرس القيم والمثل الخيرة.

ونحن إذا شئنا أن ندرس المساحة التاريخية التي أظلّها الاسلام وأقام هيكل التاريخ والحضارة عليها نجد أن هذا التاريخ حافل بألوان الصراع ومظاهر الكفاح والجهاد من أجل تغليب دعوة الايمان ومبادىء الحق وقيم الهدى، وبناء حياة الانسان على أساس الاسلام، وبوحي من قيمه ومبادئه.

ونشاهد أن دور القيادة والريادة في هذا الصراع هو لأهل البيت (ع) ولا تباعهم والمتفاعلين مع دعوتهم والمتأثرين بتيارهم التاريخي الناصع.

وحياة الامام موسى بن جعفر تمثل مرحلة سياسية وتاريخية بارزة في تاريخ الاسلام هذا، وتكتسب أهميتها من أهمية هذه الشخصية ودورها البارز في قيادة الأُمة، ومن أهمية المرحلة التاريخية ذاتها،

وطبيعة الحكام وحقيقة سياستهم الارهابية الغاشمة التي تنكرت لقيم الاسلام ومبادئه، فقد شملت هذه الفترة الزمنية العصيبة في تاريخ الاسلام وفي تاريخ أهل البيت فترة من حياة المنصور وحياة المهدي والهادي وحياة الرشيد.

ومن الطبيعي أن يكتب كتاب التاريخ الرسميون للحكام ويخشون سطوتهم ويتملقونهم ويزيفون الحقائق، ويسبغون عليهم صفات العظمة والقدسية والمثالية محاولين طمس الحقائق وتشويهها. وقد دأب مؤرخو السلطات والمتزلفون للحكام الظلمة أن يمحوا صوت الحق من ضمير التاريخ، وأن يتجنبوا ذكر الرفض والمعارضة للتسلط والطغيان، بل وربما أظهروهم بمظهر المخربين والعصاة والخارجين على إرادة القانون، فكم قرأنا عن تاريخ بني العباس وعن تاريخ الرشيد مثلاً، وبأنه العصر الذهبي... وصحيح أن العلوم والمعارف تقدمت في هذه الفترة على يد العلماء والادباء والمفكرين والفقهاء والفلاسفة والباحثين، الا أن سلطان بني العباس كان يمثل الجور والتسلط والاثرة بأفضع ألوانها.

وكان أهل البيت ودعاة الاصلاح من الفقهاء والعلماء هم الضحية في حين كان الجواري والمغنون وأمثالهم، والمتزلفون وشعراء القصر والولاة والقضاة المنفذون وأمثالهم هم الطبقة المرفهة التي عبثت بخيرات الأُمة وبمقداراتها وحريتها.

إن قيمة التاريخ ورقي الحضارة يقاس بقيمة الجانب الانساني، وإقامة العدل، واستقامة السلوك البشري للسلطة والأُمة، وليس بالجانب المادي الذي لايمثل في ظل الأوضاع الشاذة الا الأداة لاستمتاع المتسلطين وفرض سلطانهم.

لقد تحمّل الامام الكاظم (ع) مسؤولية الامامة في هذه الفترة الرهيبة ابتداءً من سنة ١٤٨ هـ وحتى سنة ١٨٣ هـ. وها نحن نستعرض هذه الفترة بشكل موجز ومتتابع وفق التسلسل التاريخي لسير الأحداث وتلاحق الوقائع.

أ ــ الامام (ع) وأبو جعفر المنصور:

وفي عهد أبي جعفر المنصور عانى العلويون أشد المعاناة، ولحقهم الظلم والقتل والارهاب. ولوضوح الموقف لدى الامام، وعلمه بفشل المقاومة المسلحة اجتنب الاعلان عن موقفه وأخفى معارضته لأبي جعفر المنصور حتى مرت سنون المنصور ثقيلة كئيبة على الامام، والطالبيين بصورة خاصة، وعلى المعارضة وعموم طبقات الأُمة بصورة عامة، وكان أبو جعفر المنصور قد صادر أموال العلويين وأدخلهم السجون والمحابس، وطاردهم تحت كل حجر ومدر، فسفك دماءهم، وبالغ في تعذيبهم، وتفنن في أساليب القتل... فكان يبني عليهم الاسطوانات وهم أحياء، ويمنع عنهم الطعام والشراب، فيقتلهم جوعاً

في أعماق سجونه المظلمة الرهيبة، أو يثقلهم بالضرب والحديد حتى ينهكهم فيموتوا. وقد دامت فترة تولي الامام الكاظم الامامة في عهد المنصور حوالي عشر سنوات. ولم يذكر المؤرخون أن أبا جعفر المنصور قد تعرض للامام بالسجن، الا أنه كان تحت الرقابة ومتابعة العيون وأجهزة التجسس، حتى مات المنصور في الثالث من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ فآلت الخلافة من بعده لولي عهده وولده محمد المهدي.

ب ـ الامام (ع) ومحمد المهدي:

انتهى عهد أبي جعفر المنصور الخليفة الذي عرفت الرعية منه الشح والبخل والقسوة والارهاب ومصادرة الأموال وسفك الدماء وكبت الحريات وخنق الأنفاس، فاستقبل الناس الخبر بالارتياح، وأحسوا بطوق الارهاب قد فكّ عن رقابهم، الا أن الوجوم والخوف من اتجاه السياسة العباسية بصورة عامة لم يزل مخيماً عليهم، والترقب والانتظار لسياسة الخليفة الجديد قد اتخذ طريقه الى النفوس. وكان طبيعياً أن يلي الخلافة من بعده ـ وفق نظام الوراثة العباسي ـ ولده محمد المسمى بالمهدي. وكان المهدي يحسّ بالسياسة المجحفة الظالمة التي انتهجها أبوه، فحاول أن يخفف عن كاهل الرعية في مطلع خلافته، فاطلق سراح السجناء ورد الأموال المصادرة الى أهلها،

فشمل هذا القرار الطالبيين، فأخرجهم من السجون وردّ أموالهم.[٦٤] وكان من جملة ما شمله القرار أموال الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) المصادرة فردها إلى ولده الامام موسى بن جعفر.

وكانت هذه الفترة التي دامت من الثالث من ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ حتى ٢٢ محرم سنة ١٦٩ هـ[٦٥] تعتبر من أيسر فترات الحكم العباسي بالنسبة للامام وللطالبيين، الا أن المهدي لم يدعه هاجس الخوف من شخصية الامام موسى بن جعفر وقوة تأثيره، ولم يفرغ قلب المهدي من كراهية الطالبيين، والخوف من ثورتهم والتفاف جماهير الأمة ووجهاؤها من حولهم. فتعرض للامام الكاظم وطلب من واليه على المدينة أن يبلغ الامام موسى بن جعفر للحضور إلى بغداد للمحاكمة والسجن. وكان ما أراد المهدي، فقد توجه الوالي بالطلب الى الامام، وطلب منه أن يتوجه الى بغداد للحضور أمام المهدي العباسي، فشدّ الامام رحال السفر، وراح يطوي الفيافي والبيد مظلوماً محتسباً، فسار ركب الامام، وسارت معه قلوب شيعته وأتباعه خائفة وجلة، الا أنه كان مطمئناً إلى أن يد المهدي العباسي سوف لن تصل إليه بسوء، فأكد ذلك لأحد خواصه ومريديه.

وصل الامام بغداد عاصمة الخلافة العباسية فأمر المهدي

---

٦٤ ــ أحمد بن أبي يعقوب: المصدر السابق /وفاة المنصور والمهدي.

٦٥ ــ أحمد بن أبي يعقوب: المصدر السابق /ص ٣٩٤.

بالقبض عليه، وزجه في السجن، ولكن عناية الله أكبر من كيد الظالمين، وحراسته لأوليائه أغلب من قوة الطغاة ووسائل تسلطهم.

لقد حدثت كرامة غيبية للامام موسى بن جعفر (ع)، فقد رأى المهدي بعد سجنه للامام، رأى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في المنام، وهو يقول له:

(يا محمد «هلْ عسيتُمْ إنْ تولَّيتُمْ أنْ تُفسدوا في الأرضِ وتقطّعوا أرحامَكُمْ»).

ففزع المهدي وقام من نومه مذعوراً فاستدعى حاجبه الربيع وأمره باطلاق سراح الامام (ع).

وهكذا خرج الامام من السجن وعاد إلى مدينة جده رسول الله (ص) ليواصل مهام الامامة ومسؤولياتها العلمية والتوجيهية.

ج ـ الامام (ع) وموسى الهادي:

لقد كانت فترة حكم موسى من الفترات القاسية الرهيبة في تاريخ الطالبيين، فقد استمر الحاكم على سياسة آبائه في كراهية العلويين ـ آل علي بن أبي طالب ـ وعامة الطالبيين، ومحاربتهم والتضييق عليهم، مما اضطر العلويين واتباعهم إلى اعلان الثورة عليه بقيادة الحسين بن علي صاحب فخ سنة ١٦٩ هـ في عهد الامام موسى بن جعفر (ع).

ونظرا لأهمية هذه الثورة واعتبارها عيّنة تاريخية معبرة عن روح الصراع بين خط أهل البيت، وخط الحكام المنحرفين طوال فترة الحكمين الأموي والعباسي، ونظرا لعلاقتها بشخص الامام وعصره وأهميتها في مسيرة الصراع في ذلك العصر، وشخوصها مَعْلَماً من معالم الجهاد والشهادة من أجل الدفاع عن الاسلام، وخلودها نجماً مضيئاً في تاريخ الثوار المسلمين، سنذكرها بشيء من التفصيل لتكون درساً ملهماً من مدرسة الاسلام لكل أجيال المسلمين، ودعاة الاسلام، وحملة لواء الجهاد والشهادة من أجل الحق.

١ ــ «فخ» نجم في سماء التاريخ:

لمعت في سماء التاريخ الاسلامي وآفاقه أماكن وأحداث و شخصيات ونزفت من قلب هذه الأُمة وشريان عنفها دماء طاهرة سقت شجرة الايمان، وخطّت فصول المجد والجهاد بأحرف مضيئة وبعناوين لامعة.

ومن هذه الأماكن والأحداث والشخصيات والدماء أرض فخ ووقعتها الكبرى، وقائدها العلوي الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن أبي طالب، والكوكبة النيرة من طلائع آل أبي طالب... فكانت فخ حقاً نجماً في سماء التاريخ، كما كانت كربلاء وبدر وأمثالها من قبل نجوماً في سماء المجد والجهاد.

إن الذي يقف على وقعة فخ ومأساتها وأهميتها التاريخية والحركية يدرك أنها تكرار لواقعة كربلاء وصدى لصوت الحسين السبط الشهيد، حتى أن الذي يقرأ تقريع زينب لأهل الكوفة، ويصغي إلى لوعتها وشكواها، لايشك أن كربلاء تكررت في فخ، وأن مأساة أهل البيت تجددت في هذه الأرض الطاهرة. فزينب بنت الامام علي بن أبي طالب بنت فاطمة بنت رسول الله (ص) بالأمس تخاطب أهل الكوفة بعد أن شهدت المأساة ووقفت على مصارع أهل البيت وقتلاهم:

(... ويلكم، أتدرون أيَّ كبدٍ لرسولِ الله فريتم؟ وأيَّ كريمةٍ له أبرزتم؟ وأيَّ دمٍ له سفكتم؟ وأيَّ حرمةٍ له انتهكتم؟).

ويعيد التاريخ نفسه فيحدثنا أن زينب بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أُم الحسين بن علي صاحب ثورة فخ الشهيرة تعيش المأساة نفسها، وتعاني اللوعة ذاتها، تلك المرأة العابدة التى قتل أبوجعفر المنصور أباها وأخاها وعمومتها وبنيهم وزوجها، فكانت تلبس المسوح ولا تجعل بين جسدها وبينها شفاراً حتى لحقت بالله عزوجل. وكانت تندبهم وتبكي حتى يغشى عليها، ولا تذكر أبا جعفر بسوء تحرجاً من ذلك وكراهة لأن تشفي نفسها بما يؤثمها ولا تزيد على أن تقول:

(يا فاطر السماوات والأرض، يا عالم الغيب والشهادة، الحاكم بين

عباده احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين).[٦٦]

(وكانت زينب ترقص الحسين وهو صغير وأخاه الحسن وتقول:

تعلم يا بن زينب و هند كم لک بالبطحاء من معد

من خال صدق ماجد وجد)[٦٧]

فيأتي دور الحسين ولدها العلوي الثائر ليقتفي أثر الحسين، ويحمل راية الجهاد والشهادة فيراق دمه الطاهر ويفجع به رسول الله (ص)، كما فجع من قبل في كربلاء، ولقد كانت هاتان الواقعتان (فخ، وكربلاء) عظيمتين على نفس رسول الله وأهل بيته، وكان قد أنبأ عنهما وبكى ألماً ولوعة لما يجري على أهل بيته فيهما.

فقد ذكر الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي في كتابه (أعلام النبوة) صفحة (٨٣) طبع مصر قال:

(ومن إنذاره (ص) ما رواه عروة عن عائشة قال: دخل الحسين بن علي (ع) على رسول الله (ص) وهو يوحىٰ إليه، فبرک على ظهره وهو منكب، ولعب على ظهره، فقال جبرئيل: يا محمد إن امتک ستفتن بعدک ويقتل ابنک هذا من بعدک. ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء وقال: في هذه الأرض يقتل ابنک، اسمها الطف. فلما ذهب جبرئيل خرج رسول الله (ص) إلى أصحابه والتربة في يده، وفيهم أبو بكر وعمر وعلي

---

٦٦ ــ أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق /ص ٤٣١.

٦٧ ــ أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق.

وحذيفة وعمّار وأبوذر وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله (ص)؟ فقال: **أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه).**[٦٨]

وكما أخبر رسول الله (ص) عن كربلاء أخبر كذلك عن وقعة فخ، فقد روي عن طريق سلسلة من الرواة عن أبي جعفر محمد الباقربن علي (ع) قال:

(مر النبي (ص) بفخ فنزل فصلى ركعتين، فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي (ص) يبكي بكوا، فلما انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا، يا رسول الله. قال: نزل عليّ جبرئيل لما صليت الركعة الاولى فقال: يا محمد إن رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان وأجر الشهيد معه أجر شهيدين).[٦٩]

وتوقف الامام جعفربن محمد الصادق في أرض فخ في احدى سفراته من المدينة الى مكة فنزل فيها وصلى، ثم سأله النضربن قرواش صاحب الجمال المكراة للسفر: (جعلت فداك رأيتك قد صنعت شيئاً، أفهو من مناسك الحج؟ قال: **لا، ولكن يقتلها هنا رجل من**

---

٦٨ ــ السيد صالح الشهرستاني: تاريخ النياحة على الامام الشهيد الحسين بن علي /ص ٦ / ج ٢.

٦٩ ــ أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق / ص ٤٣٦.

أهل بيتي في عصابة تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة).[٧٠]

وروى زيدبن علي بن الحسين أن رسول الله (ص) صلى في فخ وقال:

(يقتلها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، وينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة).[٧١]

واذا كان وقع هذه المأساة عظيماً على نفس رسول الله (ص) ومروعاً لأهل البيت (ع) الذين لم يشهدوا هذه الواقعة، فكيف بعميد أهل البيت وإمام المسلمين موسى بن جعفر الكاظم (ع) الذي عاصر المأساة، وعايش المحنة وتحمل آثارها وتبعاتها السياسية والرسالية، تلك المأساة التي وصفها الامام محمد الجواد (ع) حفيد الامام الكاظم بقوله:

(لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ).[٧٢]

لقد تحدث التاريخ عن أن موسى الهادي الخليفة العباسي الذي وقعت الثورة أيام خلافته، عكس [illegible] هذه الثورة العلوية ونتائجها على الامام موسى ومن نجا من آل أبي طالب من مذابح بني العباس المروعة،

---

٧٠ ــ أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق.

٧١ ــ أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق / ص ٤٣٧.

٧٢ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / ص ١٦٥ /ج ٤٨.

فتحملها الامام بقلبه الكبير وصبره المديد وعزمه الذي لايلين، وهكذا يكون القائد المسلم أقوى من المحنة، وأكبر من عقبات الصراع، وأثبت من الخصم ليستطيع مواصلة السير، وتحمل أعباء القيادة، واجتياز الظروف الصعبة وساعات العسرة الشاقة. ولم يحدث التاريخ عن أئمة أهل البيت الابتلك الصفات الفذة والخصال القيادية الرائعة.

وصدق رسول‌الله (ص) الأمين بقوله:

(نحنُ أهلُ بيتٍ لايُقاس بنا أحدٌ).

٢ ــ الدم والشهادة في ثورة «فخ» الخالدة:

لقد كان الخليفة العباسي موسى الهادي يخشى ثورة أهل البيت ويخاف قيادتهم والتفاف الأُمة من حولهم، ويخشى بشكل خاص قيادة الامام موسى بن جعفر (ع) وإمامته. وقد تأكد خوفه وارتعدت فرائصه من ثورات العلويين ومواقفهم البطولية المجيدة عندما قاد الثائر العلوي أبوعبدالله الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي‌طالب (ع) الثورة، وحدثت على يده وقعة فخ الشهيرة، فلم يكن يشك أن المحرك والموجه والمخطط والمؤيد لهذه الثورة غير عميد أهل البيت وامامهم البارز موسى بن جعفر (ع). فأهل البيت لم يجف لهم دم الا وسال لهم دم طاهر جديد، ولم يغب لهم نجم الا وسطع في أُفق الجهاد لهم نجم لامع، ولم تخب لهم دعوة الا وظهرت لهم على

مسرح التاريخ دعوة جديدة فهم دم الاسلام، وقلب الأُمة وعقلها الواعي الرشيد. ولقد كانوا القوة الدافعة واليد المحركة لتاريخ الجهاد والمعارضة، والاصلاح والتغيير، لسان الحق الناطق باسم المظلومين والمستضعفين، وسيف العدل المشهور على رؤوس الطغاة والظالمين.

لقد ثار العلوي الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن أبي طالب وأعلن الثورة في شهر ذي القعدة عام ١٦٩ هـ في المدينة المنورة من جوار قبر رسول الله (ص) ضد الحكم العباسي أيام الهادي بن المهدي، وفشلت ثورته وقتل في فخ على مقربة من مكة المكرمة.

ولعل هذه الثورة هي من أبرز ثورات أهل البيت وأكثرها لوعة وفجيعة بعد ثورة كربلاء التي قادها واستشهد فيها الامام السبط الحسين بن علي الشهيد(ع)، فقد كان لهذه الثورة ولرجالها مقام عظيم في نفوس أهل البيت (ع)، وهي من الأحداث التاريخية الكبرى التي أخبر عنها رسول الله (ص) وأهل البيت (ع).

لقد وقعت هذه الثورة الاسلامية الرائدة بقيادة الثائر العلوي الحسين بن علي أيام الامام موسى الكاظم (ع) ولقد كان وقعها عظيماً على نفسه، ونتائجها ومردوداتها السياسية كبيرة على شخص الامام وكيان الأُمة. فقد روع أهل البيت في هذه الكارثة ولاقوا صنوف الأذى والظلم والاضطهاد. وقد كان عالماً بنتائجها، عارفاً بمصير الثورة بما

روى عن آبائه وأجداده من أخبار وروايات، الا أن الحسين أصر على موقفه، وقرر المضي بثورته، فلم يكن ليستوعب ويدرك رؤية الامام موسى بن جعفر وموقفه، ولم يكن صبره يحتمل ما وقع على أهل هذا البيت من العنت والظلم والاضطهاد. وعندما رأى الامام موسى بن جعفر (ع) اصرار الحسين بن علي وقراره في المضي، نعاه وقال له قول المودع الذي لا يرجو لقاءه أبدا حين رآه عازماً على المسير إلى مكة:

(إنك مقتول فأحدّ الضراب، فان القوم فساق يظهرون إيماناً، ويضمرون نفاقاً وشركاً، فانا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله أحتسبكم من عصبة).[٧٣]

وقد حدثنا التاريخ عن أسباب هذه الثورة البطولية ونتائجها المفجعة المروعة، فركزها فيما يأتي:

(كان سبب خروج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أن موسى الهادي (الخليفة العباسي) ولّى المدينة اسحاق بن عيسى بن علي، فاستخلف عليها رجلاً يعرف بـ: (عبدالعزيز بن عبدالله العمري)[٧٤]، فحمل على الطالبيين وأساء اليهم،

---

٧٣ ــ أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق /ص ٤٤٧.

٧٤ ــ في الطبري: (كان اسحاق بن عيسى بن علي على المدينة، فلما مات المهدي واستخلف موسى شخص اسحاق وافداً إلى العراق إلى موسى، واستخلف على المدينة عمر بن عبدالعزيز ابن عبدالله ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وذكر الفضل بن اسحاق

وأفرط في التحامل عليهم، وطالبهم بالعرض كل يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة، وأخذ كل واحد منهم بكفالة قرينه ونسيبه فضمن الحسين بن علي، ويحيى بن عبدالله بن الحسن، الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن، ووافى أوائل الحج، وقدم مع الشيعة نحو من سبعين رجلاً، فنزلوا دار ابن أفلح بالبقيع وأقاموا بها، ولقوا حسيناً وغيره، فبلغ ذلك العمري فأنكره، وكان قد أخذ قبل ذلك الحسن بن محمد بن عبدالله، وابن جندب الهذلي الشاعر، ومولى لعمر بن الخطاب[٧٥] وهم مجتمعون، فأشاع أنه وجدهم على شراب، فضرب الحسن ثمانين سوطاً، وضرب ابن جندب خمسة عشر سوطاً، وضرب مولى عمر سبعة أسواط، وأمر بأن يداربهم في المدينة، مكشفي الظهور ليفضحهم...).[٧٦]

الا أنه كفّ عن ذلك وتراجع، ولكنه أخذ على إثر ذلك يضيق على الطالبيين ويشدد عليهم وولى عليهم أبا بكر بن عيسى الحائك، فأساء لهم وضيق عليهم كثيراً حتى حبسهم يوم جمعة في المسجد إلى ما قبيل صلاة الجمعة، ولم يدع لهم من الوقت الا ما يكفي للوضوء، فلما أنهوا الصلاة، عاد فحبسهم في المقصورة إلى العصر، ثم عرضهم

الهاشمي أن اسحاق بن عيسى بن علي استعفى الهادي و هو على المدينة واستأذنه في الشخوص إلى بغداد فأعفاه و ولى مكانه عمر بن عبدالعزيز...).

٧٥ ــ في الطبري: (و عمر بن سلام مولى آل عمر)، و هو الصواب.

٧٦ ــ أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق /ص ٤٤٨.

فطلب الحسن بن محمد وقد تغيب ثلاثة أيام عن الحضور أمام أبي بكر بن عيسى، وقد كان علي بن الحسين ويحيى بن عبدالله قد تكفلا الحسن فلم يجده في الحاضرين، فتوجه بالقول ليحيى والحسين لتأتيان به أو لأحبسنكما، فاشتبك معه يحيىٰ برد عنيف وشتمه، ثم نقل ابن الحائك هذا الموقف إلى العمري، فدعا يحيى والحسين فوبخهما وتهددهما فتضاحك الحسين في وجهه ثم جرى بينه وبين العمري كلام، فقال يحيى للعمري: سآتيك بالحسن بن محمد، وسأحضره إن وجدته، أو أضرب عليك بابك حتى تعلم أني قد جئتك. فاستغرب الحسين: **وكيف تحضره؟** قال يحيى: ما قصدت تسليمه اليه ولكن قصدت أن أضرب عليه بابه ومعي السيف، إن قدرت عليه قتلته. فأخبر الحسين الحسن بن محمد بالحدث وقال له: **قد بلغك ماكان بيننا وبين هذا الفاسق، فامض حيث أحببت.** فرفض الحسن وقال: بل أجيء الساعة حتى أضع يدى بيده، فرفض الحسين ذلك وقال للحسن: **سآتيك بنفسي لعل الله يقيني من النار.**

ثم دعا الحسين بني هاشم وأتباعه وموالية، فاجتمع ستة وعشرون رجلاً من آل أبي طالب، وعشرة من الحاج، ونفر من الموالي، فلما أذن الصبح دخلوا المسجد وطلب عبدالله بن الحسن الأفطس من المؤذن أن يذكر في الأذان (حي على خير العمل)، كما كانت على عهد رسول الله (ص)، فخاف المؤذن وأذن بها، فعرف العمري أن ثورة

علوية قد اعلنت، فاضطرب وخاف، وفقد سيطرته على نفسه، فأخذ يطلق العبارات بلا وعي وراح يصيح، وهو في داره: (أغلقوا البغلة الباب، وأطعموني حبتي ماء). وذهبت هذه العبارات المعبرة عن جبنه ورعديديته عاراً عليه، فسمى الناس ولده ــ (بني حبتي ماء). ثم نفذ العلويون وعدهم واقتحموا ــ كما قرروا ــ دار العمري، ولكنه هرب ونجا من أيدي الثوار.

أما الثائر الحسين بن علي فقد صلى بالناس وخطب بعد فراغه من الصلاة، وسيطر الحسين على المدينة وكان ذلك في عام ١٦٩ من ذي القعدة ثم خرج قاصداً مكة ليحج ويبلغ رسالته، ويدعو الناس بدعوته مستثمراً موسم الحج وتوافد الحجيج، ومعه حوالي (٢٠٠) رجل من أهل بيته وأتباعه. فلما قربوا من مكة ووصلوا (فخ)[٧٧]، ووادي بلدح تلقتهم جيوش العباسيين واشتبكوا معهم في معركة حامية يوم التروية ــ وقت صلاة الصبح ــ ونظراً لعدم تكافؤ الجيشين فقد سحق أصحاب الحسين، وانكسر جيشه القليل العدد، وجرح هو، ثم اعطي الأمان فقال: (والله ما لكم أمان، ولكنني أقبل منكم). فلما سلم نفسه بعد أن كسر سيفه، خانوا عهده ونقضوا أمانهم، فقتلوه صبراً.

وانتهت ثورته البطولية بفاجعة مروعة، وتضحية عظيمة استشهد

---

٧٧ ــ فخ: بئربينه و بين مكة مسافة فرسخ.

فيها أكثر من مائة شهيد من أولئك الثوار الأبطال. فقد ذكر المؤرخون أن الجند احتزت الرؤوس، فكانت مائة ونيفاً، ثم حملت وأسر الباقون.

٣ ــ السلطة العباسية تحمل الامام (ع) مسؤولية «فخ»:

وجيء بالرؤوس إلى موسى والعباس، وعندهما جماعة من ولد الحسن والحسين، فلم يسألا أحدا منهم إلا الامام موسى بن جعفر (ع). فقالا: هذا رأس حسين؟ قال:

(نعم، إنّاللهوإنّاإليهراجعون، مضى واللهِ مسلماً صالحاً صواماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله).

وحملت الأسرى إلى الهادي فأمر بقتلهم.[٧٨] ولم يكتف القتلة بسفك الدم الحرام، والتمثيل بالشهداء، وقتل الأسرى. وعمد العمري إلى هدم الدور ومصادرة الأموال وحرق المزارع.

وقد ذكر المؤرخون:

(فلما بلغ العمري الخبر وهو بالمدينة عمد إلى دار الحسين ودور أهله فحرقها وقبض أموالهم ونخلهم فجعلها في الصوافي المقبوضة).[٧٩]

---

٧٨ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / المجلد ١١/ ص ١٦٥ / ج ٤٨.

٧٩ ــ أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق / ص ٤٥٥.

وجاء في روايات تاريخية أُخرى:

(وثب على دار الحسين، ودور جماعة من أهل بيته وغيرهم ممن خرج مع الحسين فهدمها وحرق النخيل وقبض مالم يحرقه، وجعله في الصوافي والمقبوضة).[٨٠]

وهكذا يفعل الطغاة في كل عصر وجيل مع دعاة الهدى وطلائع الجهاد مندفعين بروح الحقد والانتقام إلى القتل والسلب، ومصادرة الأموال والتشفي الآثم، لذا فقد نقلت رؤوس الشهداء إلى الخليفة العباسي موسى الهادي ووضعت بين يديه وهو يغلي حقداً وانتقاماً من آل أبي طالب ومن عميدهم، وإمام المسلمين موسى بن جعفر (ع)، فراح يهدد ويتوعد ويحلف على قتل الامام موسى بن جعفر (ع)، حيث لم يكن ليفصل بين قيادة وتوجيه الامام موسى بن جعفر (ع) وبين هذه الثورة الاسلامية العلوية الكبرى التي أعلن عن هويتها قائدها الشهيد وأكد أنها دعوة إلى قيادة آل محمد (ص) والالتزام بكتاب الله وسنة نبيه بقوله:

(أبايعكم على كتاب الله، وسنة رسول الله، على أن يُطاع الله ولا يعصى، وأدعوكم إلى الرضى من آل محمد، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، والعدل في الرعية، والقسم بالسوية، وعلى

---

٨٠ ــ أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق.

أن تقيموا معنا، وتجاهدوا عدونا، فان نحن وفينا لكم وفيتم لنا، وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم).[٨١]

إن نظرات متأملة في هذه الوثائق التاريخية التي تحكي لنا وتصور طبيعة الأوضاع والظروف السياسية والاجتماعية التي مربها المسلمون عموماً، والعلويون وأئمتهم وقادتهم خصوصاً، تعرفنا حقيقة المأساة التي عاشتها هذه الأمة وسبب الثورات والانتفاضات والمعارضة المتصلة من أئمة أهل البيت وسادتهم على طول امتداد التاريخ الاسلامي وتألقهم نجوماً في سماء المجد والشهادة، وكم كانوا كراماً أصحاب نفوس أبية وأنوف حمية، يؤثرون موت الكرام على طاعة اللئام، فحق أن يكونوا قادة وطلائع وقدوة لهذه الأمة. وصدق رسول الله الأمين بقوله:

(نحنُ أهلُ بيتٍ لايُقاس بنا أحد).

فلم يكن موسى الهادي الحاكم العباسي ليغفل هذه الحقيقة، وهو يعرف القوى والشخصيات المؤثرة في مسار سياسة التصحيح والمعارضة والتغيير، فقد كان يعزو الثورة للامام موسى بن جعفر (ع)، كما كان المنصور من قبل يعزو ثورة محمد (النفس الزكية) للامام الصادق أبي الامام موسى بن جعفر (ع)، وكما كان هشام الحاكم الأموي

---

٨١ ــ أبوالفرج الأصفهاني: المصدر السابق /ص ٤٥٠.

يعزو ثورة زيد للامام محمد الباقر جد الامام موسى بن جعفر (ع)، مع أن الأئمة الثلاثة (ع) قد نهوا كلاً من زيد، ومحمد ذي النفس الزكية، والحسين بن علي صاحب فخ عن الثورة المسلحة لعلمهم مسبقا بالنتائج وبمآل الثورة. وقد أوضحوا ذلك بصورة صريحة للقادة الثلاثة، حين العزم على تفجير كل ثورة، الا أن هذه المواقف لم تكن لتقنع الحكام، فهم يخافون حتى أنفاس أهل البيت حين تنساب إلى صدورهم، فهم يعلمون أن أهل البيت قد استأثروا بحب الناس وتأييد العلماء. فقد ذكر المؤرخون أن أبا حنيفة صاحب المذهب الفقهي المعروف ناصر زيداً وأفتى بصرف الزكاة لتأييد ثورته، وأن أبا يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة وأبرز الفقهاء الرسميين في عصره، دافع عن الامام موسى بن جعفر أمام موسى الهادي وأثناه عن عزيمته على قتله، رغم اختلافه في الرأي والمذهب الفقهي مع الامام موسى بن جعفر (ع).

وبامكاننا أن نقرأ جانباً من هذه الحقائق في الوثيقة التاريخية التالية:

(لما حُمل رأس أبي عبدالله الحسين بن علي صاحب وقعة فخ الشهيرة إلى موسى الهادي بن المهدي الخليفة العباسي، أنشأ يقول متمثلاً:

بني عمنا لاتنطقوا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغميم القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون سلمه فيقبل قيلاً أو يحكم قاضيا

ولكن حد السيف فيكم مسلط فنرضى إذا ما أصبح السيف راضيا
فان قلتم انّا ظلمنا فلم نكن ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا
فقدساءني ماجرّت الحرب بيننا بني عمنا لوكان أمراً مدانيا

ثم أخذ في ذكر الطالبيين وجعل ينال منهم الى أن ذكر موسى بن جعفر وحلف الله بقتله فتكلم فيه القاضي أبو يوسف حتى سكن غضبه...).[٨٢]

ونقل العلامة المجلسي أن موسى الهادي أمر برجل من الأسرى فوبخه ثم قتله، ثم صنع مثل ذلك بجماعة من ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وأخذ من الطالبيين، وجعل ينال منهم إلى أن ذكر موسى بن جعفر صلوات الله عليه، فنال منه، قال: والله ما خرج حسين إلا عن أمره ولا اتبع الا محبته، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، قتلني الله إن أبقيت عليه. فقال له أبو يوسف يعقوب ابن إبراهيم القاضي وكان جريئاً عليه: يا أمير المؤمنين، أقول أم أسكت؟ فقال: قتلني الله إن عفوت عن موسى بن جعفر، ولو لا ما سمعت من المهدي فيما أخبر به المنصور بما كان من جعفر من الفضل المبرز عن أهله في دينه وعلمه وفضله، وما بلغني عن السفاح فيه من تقريظه وتفضيله لنبشت قبره وأحرقته بالنار إحراقاً.

---

٨٢ ــ إبن شهراشوب: المصدر السابق / ص ٣١٠/ ج ٤.

فأخذ أبو يوسف القاضي يلح ويهدئه حتى سكن غضبه.[٨٣] الا أن موسى الهادي لم يكن ليستقر، أو يشعر بالطمأنينة على ملكه وهو يرى موسى بن جعفر (ع) حراً طليقاً يمارس دوره العلمي، ويحتل مكانته القيادية، فقرر اعتقال الامام وسجنه، وراح يهدد ويتوعد الامام.

علم الامام بنوايا الهادي فلم تفزعه ولم يعبأ بها، فقد كان واثقاً من نهاية هذا الحاكم ومن نهاية ظلمه وتسلط حكومته.

وقد روى هذه القصة علي بن يقطين أحد خواص الامام الكاظم فقال:

(أُنهي الخبر إلى أبي الحسن موسى بن جعفر، وعنده جماعة من أهل بيته بما عزم عليه موسى بن المهدي في أمره، فقال لأهل بيته: ما تشيرون؟ قالوا: نرى أن تتباعد عنه، وأن تغيّب شخصك منه، فانه لايؤمن شره.

فتبسم أبو الحسن موسى بن جعفر (ع) ثم قال:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ... وليغلبن مغلب الغلاب

ثم رفع يده الى السماء فقال:

اللهم كم من عدو شحذ لي ظبة مديته، وأرهف لي شباحده، وداف لي قواتل سمومه، ولم تنم عني عين حراسته، فلما رأيت ضعفي عن احتمال

---

٨٣ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / ص ١٥١.

الفوادح وعجزي عن ملمات الجوايح، صرفت عني ذلك بحولك وقوتك، فألقيته في الحفير الذي احتفره لي خائباً مما أمله في دنياه، متباعداً ممّا رجاه في آخرته، فلك الحمد على ذلك قدر استحقاقك.

سيدي، اللهّم فخذه بعزتك، وافلُل حده عني بقدرتك، واجعل له شغلاً فيما يليه، وعجزاً عما يناويه. اللهّم وأعدني عليه عدوى حاضرة تكون من غيظي شفاء، ومن حقي عليه وفاء، وصل اللهم دعائي بالاجابة، وانظم شكايتي بالتغيير، وعرفه عما قليل ما وعدت الظالمين، وعرفني ما وعدت في إجابة المضطرين، إنك ذوالفضل العظيم والمن الكريم.

قال: ثم تفرق القوم، فما اجتمعوا الا لقراءة الكتاب الوارد عليه بموت موسى بن المهدي).[٨٤]

وهكذا انتهي الصراع بين هذا الحاكم العباسي وبين الامام موسى بن جعفر (ع) ليبدأ مرحلة جديدة مع الحاكم العباسي الجديد هارون الرشيد.

---

٨٤ ــ الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا /ص ٦٥. المطبعة الحيدرية ــ النجف الأشرف.

الامام (ع) وهارون الرشيد

أ ــ تعريف موجز بسياسة الرشيد:

لقد عاش الامام موسى بن جعفر (ع) هذه الفترة التاريخية العصيبة من حكم بني العباس كما عاشها الآخرون من ذرية أهل البيت وأتباعهم وبقية طبقات الأُمة تحت وطأة الظلم والارهاب والسجون والقتل والتشريد.

والذي يقرأ تاريخ تلك الفترة يستطيع أن يعرف كيف فتك بنو العباس بالكثير من أنصارهم والموالين لهم، فقد فتكوا بالبرامكة الذين أخلصوا لبني العباس وسفكوا الدماء، وساموا الناس سوء العذاب من أجل تثبيت الحكم العباسي، كما فتكوا بالكثير من أمثالهم.

والذي يتابع بعض العبارات التي صدرت من أقرب الناس لبني العباس، أو يتابع الأحداث يدرك مدى الخوف والارهاب الذي زرعه العباسيون في نفوس الناس، ويعرف أهمية موقف الامام وتصديه

لمواجهة الظلم والارهاب، وكسر حاجز الخوف عند الناس.

فمثلا، سجل التاريخ أن الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي الذي كان من أخلص المقربين من الرشيد يجرد من ثيابه ويضرب ويهان ويلعن في مجلس عام بطلب من الرشيد لأنه رقّ عن الامام الكاظم وخفّف عنه آلام السجن.

وهذا الفضل بن الربيع وهو من أبرز الساسة المقربين للرشيد، ومن أعمدة البلاط ووزرائه يتحدث عن موقف جرى له، ويكشف عن عمق الخوف والارهاب في نفسه، فيرسم لنا صورة الارهاب العباسي.

قال الفضل: (كنت ذات ليلة في فراشي مع بعض جواري، فلما كان في نصف الليل سمعت حركة باب المقصورة، فراعني ذلك. فقالت الجارية: لعل هذا من الريح. فلم يمض الايسير حتى رأيت باب البيت الذي كنت فيه قد فتح، وإذا بمسرور الكبير قد دخل علي، فقال لي: أجب الأمير. ولم يسلم علي، فيئست من نفسي وقلت: هذا مسرور، ودخل إلي بلاإذن، ولم يسلّم. ما هو الا القتل. وكنت جنباً فلم أجسر أن أسأله انظاري حتى أغتسل. فقالت لي الجارية لما رأت تحيري وتبلدي: ثق بالله عزوجل، وانهض. فنهضت، ولبست ثيابي، وخرجت معه حتى أتيت الدار، فسلمت على أمير المؤمنين وهو في مرقده، فرد علي السلام فسقطت فقال: تداخلك رعب؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

فتركني ساعة حتى سكنت).[٨٥]

إن القارىء والمتأمل في هذه الوثيقة التاريخية، وهو يعرف موقع الفضل بن الربيع من هارون الرشيد، ويتأمل في نصوص الوثيقة يعرف مدى الخوف والارهاب والاستهانة بكرامة الانسان، فأقرب المقربين وأبرز أركان السلطة وعمادها يعيش هذا الشعور ويعاني من هذه العقدة، فكيف بالمعارضين وبمن لاتربطهم بقصر الخليفة رابطة..؟ وبعامة أفراد الأُمة؟

إن أُسلوب الارهاب الذي مارسه الحكام العباسيون لايختلف عن الأساليب التي تمارسها اليوم أجهزة التجسس والارهاب والمباحث والشرطة المسخرة للأنظمة الارهابية والمتسلطة على رقاب الشعوب. فقد رأينا كيف يدخل رسول الرشيد الفضل وهو نائم في حجرته مع جاريته ودونما استئذان؟ وكيف يأخذه الخوف فييأس من حياته؟ وكيف يسقط مغشياً عليه ولا يستطيع التحدث مع الرشيد الا بعد ساعة؟.

إنه التسلط والخوف الذي يشل إرادة الانسان، ويسلبه كرامته وانسانيته.

ووثيقة أُخرى ينقلها لنا التاريخ وهي تصورلنا الرعب

---

٨٥ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / المجلد ١١/ ص ٢١٣/ ج ٤٨.

الجماعي، وتحكم عقدة الخوف و الارهاب في الرأي العام من السلطة العباسية. فقد نقل أن يحيى بن خالد البرمكي لما قدم إلى بغداد لتدبير عملية اغتيال الامام موسى بن جعفر (ع)، فوجيء الناس به فاستولى الذعر والخوف وشاعت الاشاعات، وانتشرت الأراجيف المعبرة عن الخوف، وترقب الشر، فقد جاء في نص تاريخي:

(ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى أتى بغداد، فماج الناس وأرجفوا بكل شيء).[٨٦]

فالمتأمل لعبارة (فماج الناس، وارجفوا بكل شيء) يستطيع أن يدرك وبوضوح كامل طبيعة علاقة الأُمة بالسلطة، ويعرف كيف كانت تساس الأُمة وتدار شؤون الدولة، وكيف كان الحكام العباسيون وأنصارهم يقبضون على مقاليد الامور، وكيف كان موقف الامام بوجه السلطة يمثل قمة المسؤولية، ويعبر عن ضرورة عقائدية لانقاذ الأُمة، وكسر طوق الارهاب المضروب عليها.

وهكذا تفعل الطلائع والقيادات الاسلامية الرائدة عندما يستولي على الأُمة الخوف والارهاب، وتسقط تحت طائلة الحكام المستبدين فانها تحتاج إلى هزة وجدانية عنيفة وإلى دم مقدس يحرك ضميرها وإحساسها، ويبقي شعلة الجهاد والشهادة حية متقدة فيها.

---

٨٦ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / ص ٢٣٤.

وهكذا فعل الامام موسى بن جعفر وأتباعه، فرابط في السجن ورفض الخروج منه ليشعر الأُمة أنها في صراع مستمر مع الحاكم الظالم ما زالت القيادة الشرعية ترفض الاعتراف بالأمر الواقع وتستقر في ظلمات السجون، ودعاة الهدى والاصلاح اختاروا ظلمات السجون على رفاهية القصور ودعة الحياة، وشهروا السلاح وواجهوا الحاكم المستبد بكلمة الحق.

وهكذا كان مسار أهل البيت وأتباعهم طيلة عهد أبي العباس السفاح، والمنصور، والهادي، والمهدي، والرشيد ومن تبعهم من الحكام العباسيين. فقدم أهل البيت وأتباعهم والعلويون من آل علي بن أبي طالب الدم والقرابين، وضاقت المحابس والسجون، وبنيت عليهم أُسس القصور والاسطوانات وهم أحياء، وحملت رؤوسهم من بلد إلى بلد، ومن فجائع ما دون التاريخ ما ذكره حميد بن قحطبة أحد أُمراء الرشيد إلى أحد خواصه، وهي قصة مأساوية فجيعة،[87] تمثل محنة العلويين، وظلم بني العباس وقسوتهم.

وجاء في القصة أن الرشيد لما كان بطوس استدعاه وسأله عن طاعته لأمير المؤمنين فأجاب أنه مستعد أن ينفذ ما يطلب منه، ولما اطمأن الرشيد إلى إخلاصه للعرش العباسي وقدرته على التنفيذ، أمر

---

٨٧ ــ حدثت هذه المأساة بعد شهادة الامام موسى بن جعفر.

الخادم أن يناوله سيفاً ويذهب إلى بيت مغلق في وسطه بئر، وفي البيت ثلاثة بيوت مغلقة. فلما أدخله الخادم فتح أحد البيوت وإذا في البيت عشرون علوياً من ذرية علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله (ص)، وهم شباب وشيوخ وكهول مقيدون بالسلاسل والقيود فطلب منه قتلهم وإلقائهم في البئر ففعل. ثم فتح البيت الثاني ووجد فيه مثل هذا العدد وأمره بقتلهم ففعل. ثم فتح البيت الثالث وفيه مثل هذا وأمره بقتلهم ففعل. وكانت هذه القصة المأساوية سراً في زنزانات الارهابيين والقتلة.. الا أن حميدبن قحطبة أفشى هذا السر بعد أن أخذت تلاحقه أشباح الجريمة، ويؤنبه وخز الضمير، وبعد أن شعر بأن صورته الانسانية قد مسخت، وأنه توغل في الجريمة حتى يئس من رحمة الله.

فقد دخل عليه صاحبه عبيدالله البزاز النيشابوري قادما من سفر في شهر رمضان، ووجد حميدبن قحطبة يتأهب لتناول طعام الغداء، وبعد قليل أحضر الطعام، ودعا حميد صاحبه إلى تناول الطعام، فاعتذر بأنه صائم، وقال: لعل للأمير عذراً ومسوغاً شرعيا للافطار، أما أنا فصائم. فأجاب حميد: ليس بي علة ولاعذر لي. ثم دمعت عيناه، وبكى وراح يسرد فصول القصة المأساوية المروعة، وهو يقول لصاحبه: أي مغفرة أرجو وأي صيام ينفع، بعد أن ولغت في هذه الجريمة، وقتلت من ذرية علي وفاطمة ستين بريئاً؟ وبأي وجه ألقى الله ورسوله؟[٨٨]

---

٨٨ ــ نقلنا مضمون القصة عن كتاب: عيون أخبار الرضا / ص ٨٨/ ج ١.

وروى المؤرخون نماذج وصوراً مأساوية للسجون والقتل والمطاردة للعلويين وأتباعهم، وخصوصاً أصحاب الامام موسى الكاظم (ع) وتلامذته وحملة علومه.

فقد ذكر أن محمدبن أبي عمير الأزدي، كان من أوثق الناس عند الخاصة والعامة ــ يعني سنة وشيعة ــ وأنسكهم نسكاً، وأورعهم وأعبدهم، وحكي عن الجاحظ أنه قال: كان أوحد أهل زمانه في الأشياء كلها. وقال أيضا: وكان وجها من وجوه الرافضة، حبس أيام الرشيد ليلي القضاء، وقيل، بل ليدل على الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر (ع)، وضرب على ذلك، وكاد يقرّ لعظم الألم، فسمع محمدبن يونس بن عبدالرحمن يقول له: اتق الله يا محمدبن أبي عمير، فصبر ففرج الله عنه.

وروى الكشي أنه ضرب مائة وعشرون خشبة أيام هارون، وتولى ضربه السندي بن شاهك، وكان ذلك على التشيع، وحبس فلم يفرج عنه حتى أدى من ماله واحداً وعشرين ألف درهم. وروى أن المأمون حبسه حتى ولاه قضاء بعض البلاد. وروى الشيخ المفيد في «الاختصاص» أنه حبس سبع عشرة سنة، وفي مدة حبسه دفنت اخته كتبه، فبقيت مدة أربع سنين، فهلكت الكتب.[٨٩]

---

٨٩ ــ الشيخ الصدوق: المصدر السابق / ص ١٧٩.

وسجل التاريخ ملاحم أُخرى لتلامذة الامام الكاظم (ع)، وأصحابه في السجون والمعتقلات. فقد جاء في المصدر السابق عن كتاب الاختصاص للشيخ المفيد:

(وكان من أصحابه علي بن هاشم بن البريد، وعبدالله بن علقمة، ومخول بن ابراهيم السهدي، فحبسهم جميعاً هارون الرشيد في المطبق.[٩٠] فمكثوا فيه اثنتي عشرة سنة).[٩١]

ب ـ الامام في سجون الرشيد:

وهكذا كان الظرف السياسي وسياسة السلطة العباسية. وفي هذه الظروف والأوضاع السياسية الخانقة عاش الامام.. وكان طبيعياً أن يناله ظلم الرشيد، وأن يلحقه السجن والاضطهاد.

فقد حدثنا التاريخ أن الامام موسى بن جعفر (ع) ذهب ضحية طيش الرشيد وخوفه على كرسيه وسلطانه، وضحية الوشاية وسعي المتزلفين والمتملقين. فقد روى بعض المؤرخين والرواة:

(كان السبب في قدوم موسى بن جعفر إلى بغداد أن هارون الرشيد أراد أن يعقد الأمر لابنه محمد بن زبيدة (الأمين)، وكان له من

---

٩٠ ـ المطبق: إسم سجن من سجون الرشيد.

٩١ ـ الشيخ الصدوق: المصدر السابق / ص ١٨٧.

البنين أربعة عشر ابناً، فاختار منهم ثلاثة: محمد بن زبيدة وجعله ولي عهده، وعبدالله المأمون وجعل الأمر له بعد ابن زبيدة، والقاسم المؤتمن، وجعل الأمر له بعد المأمون، فأراد أن يحكم الأمر في ذلك، ويشهره شهرة يقف عليها الخاص والعام. فحج في سنة تسع وسبعين ومائة وكتب إلى جميع الآفاق يأمر الفقهاء والعلماء والقراء والأُمراء أن يحضروا مكة أيام الموسم، فأخذ هو طريق المدينة.

قال علي بن محمد النوفلي: فحدثني أبي أنه كان سبب سعاية يحيى بن خالد بموسى بن جعفر عليه السلام وضع الرشيد ابنه محمد بن زبيدة في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث فساء ذلك يحيى، وقال: إذا مات الرشيد وافضى الأمر الى محمد انقضت دولتي ودولة ولدي وتحول الأمر الى جعفر بن محمد بن الأشعث وولده. وكان قد عرف مذهب جعفر في التشيع، فأظهر له أنه على مذهبه، فسّر به جعفر وأفضى إليه بجميع أُموره، وذكر له ما هو عليه في موسى بن جعفر (ع).

فلما وقف على مذهبه سعى به الى الرشيد، فكان الرشيد يرعى له موضعه وموضع أبيه من نصرة الخلافة، فكان يقدم في أمره ويؤخر، ويحيى لا يألوا أن يخطب[٩٢] عليه، إلى أن دخل يوماً الى الرشيد فأظهر

---

٩٢ ــ يخطب عليه: ينشىء الخطب: أي ينسب إليه التهم الكبيرة التي من شأنها أن تجر عليه المحنة والكارثة.

له إكراماً، وجرى بينهما كلام متّ[٩٣] به جعفر بحرمته وحرمة أبيه، فأمر له الرشيد في ذلك اليوم بعشرين ألف دينار، فأمسك يحيى عن أن يقول فيه شيئاً حتى أمسى، ثم قال للرشيد: يا أمير المؤمنين قد كنت أُخبرك عن جعفر ومذهبه فتكذب عنه، وها هنا أمر فيه الفيصل. قال: وما هو؟ قال: إنه لايصل إليه مال من جهة من الجهات الا أخرج خمسه فوجه به إلى موسى بن جعفر، ولست أشك أنه قد فعل ذلك في العشرين الألف الدينار التي أمرت بها له: فقال هارون: إن في هذا الفيصل. فأرسل إلى جعفر ليلاً، وقد كان عرف سعاية يحيى به فتباينا وأظهر كل واحد فيهما لصاحبه العداوة، فلما طرق جعفراً رسول الرشيد بالليل خشي أن يكون قد سمع فيه قول يحيى، وإنه إنما دعاه ليقتله، فأفاض عليه ماءً ودعا بمسك وكافور فتحنّط بهما ولبس بردة فوق ثيابه وأقبل إلى الرشيد، فلما وقعت عليه عينه وشم رائحة الكافور، ورأى البردة عليه قال: يا جعفر ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد علمت أنه قد سعى بي عندك، فلما جاءني رسولك في هذه الساعة لم آمن أن يكون قد قدح في قلبك ما يقال علي فأرسلت إلي لتقتلني. فقال: كلا، ولكن قد خبرت أنك تبعث إلى موسى بن جعفر من كل ما يصير إليك بخمسه، وأنك قد فعلت ذلك في العشرين ألف دينار، فأحببت أن أعلم ذلك.

---

٩٣ ــ متّ: توسل.

فقال جعفر: الله أكبر يا أمير المؤمنين، تأمر بعض خدمك فيأتيك بها بخواتيمها.

فقال الرشيد لخادم له: خذ خاتم جعفر وانطلق به حتى تأتيني بهذا المال. وسمى جعفر له جاريته التي عندها المال، فدفعت اليه البدر بخواتيمها. فأتى بها الرشيد فقال له جعفر: هذا أول ما تعرف به كذب من سعى بي إليك. قال: صدقت يا جعفر، انصرف آمناً فاني لاأقبل فيك قول أحد. قال، وجعل يحيى يحتال في إسقاط جعفر.

فقال النوفلي: فحدثني علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي عن بعض مشايخه وذلك في حجة الرشيد قبل هذه الحجة. قال: لقيني[٩٤] علي بن اسماعيل بن جعفر بن محمد فقال لي: مالك قد أخملت نفسك، مالك لاتدبر أمر الوزير؟ فقد أرسل الي فعادلته وطلبت الحوائج إليه.

و كان سبب ذلك أن يحيى بن خالد، قال ليحيى بن أبي مريم: ألا تدلني على رجل من آل أبي طالب له رغبة في الدنيا فاوسع له منها؟ قال: بلى، أدلك على رجل بهذه الصفة، وهو علي بن اسماعيل بن جعفر بن محمد. فأرسل إليه يحيى فقال: أخبرني عن عمك وعن شيعته، والمال الذي يحمل إليه. فقال له: عندي الخبر، فسعى بعمه (موسى بن جعفر). فكان في سعايته أن قال له: إن من كثرة المال عنده أنه اشترى

---

٩٤ ــ علي بن اسماعيل هو ابن أخ الامام موسى بن جعفر.

ضيعة تسمى البشرية بثلاثين ألف دينار. فلما أحضر المال قال البائع: لا أُريد هذا النقد، أُريد نقد كذا وكذا، فأمر بها فصبت في بيت ماله، وأخرج منه ثلاثين ألف دينار من ذلك النقد و وزنه في ثمن الضيعة.

قال النوفلي: قال أبي: وكان موسى بن جعفر عليه السلام يأمر لعلي بن اسماعيل بالمال ويثق به حتى ربما خرج الكتاب منه إلى بعض شيعته بخط علي بن اسماعيل ثم استوحش منه، فلما أراد الرشيد الرحلة إلى العراق بلغ موسى بن جعفر عليه السلام أن عليا ابن أخيه يريد الخروج مع السلطان إلى العراق. فأرسل اليه وسأله: **مالك والخروج مع السلطان؟** قال: لأن عليّ دينا. قال: **دينك علي. قال: و تدبير عيالي.** قال: **أنا أكفيهم.** فأبى الا الخروج، فأرسل إليه مع أخيه محمد بن جعفر بثلاثمائة دينار، و أربعة آلاف درهم. فقال: **اجعل هذا في جهازك ولا تؤتم ولدي).**[٩٥]

و نقل المؤرخون روايات أُخرى:

(إن محمد بن اسماعيل بن الصادق عمه موسى الكاظم، يكتب له الكتب إلى شيعته في آلافاق، فلما ورد الرشيد إلى الحجاز سعى بعمه إلى الرشيد، فقال: أما علمت في الأرض خليفتين يجبى إليهما إلخراج؟ فقال الرشيد: ويلك أنا ومن؟ قال: موسى بن جعفر. وأظهر أسراره،

---

٩٥ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / المجلد ١١/ ص ٢٠٧ / ج ٤٨/ ط ٢.

فقبض عليه، وحضى محمد عند الرشيد، و دعا عليه موسى بن جعفر الكاظم بدعاء استجابه الله فيه و في أولاده).[٩٦]

و روي أيضا عن علي بن جعفر (أخي الامام موسى الكاظم) قال:

(جاءني محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد، وذكر لي أن محمد بن جعفر (أخا الامام موسى بن جعفر) دخل على هارون الرشيد، فسلم عليه بالخلافة ثم قال:

ما ظننت أن في الأرض خليفيتين حتى رأيت أخي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة، وكان ممن سعى بموسى بن جعفر (ع) يعقوب بن داود، وكان يرى رأى الزيدية).[٩٧]

و روى إبراهيم بن أبي البلاد ــ سند الرواية مثبت في المصدر ــ قال:

(كان يعقوب بن داود يخبرني أنه قد قال بالامامة، فدخلت إليه بالمدينة في الليلة التي أُخذ فيها موسى بن جعفر (ع) في صبيحتها فقال لي: كنت عند الوزير الساعة ــ يعني يحيى بن خالد ــ فحدثني أنه سمع الرشيد يقول عند رسول الله ــ عند قبره الشريف في المدينة ــ كالمخاطب له:

---

٩٦ ــ باقر شريف القرشي: المصدر السابق / ص ٣٢٩.

٩٧ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / المجلد ١١/ ص ٢١٠ /ج ٤٨.

(بأبي أنت وأُمي يا رسول الله إني أعتذر إليك من أمر عزمت عليه، وإني أُريد أن آخذ موسى بن جعفر فأحبسه، لأني قد خشيت أن يلقي بين أُمتك حرباً تسفك فيها دماؤهم).

وأنا أحسب أنه سيأخذه غداً، فلما كان من الغد أرسل إليه الفضل بن الربيع وهو قائم يصلي في مقام رسول الله (ص) فأمر بالقبض عليه و حبسه).[٩٨]

هذه شريحة تاريخية تحكي لنا صورة الصراع السياسي المرير بين قادة الهدى والايمان المتمثلة في أهل بيت النبوة وبين حكام بني العباس والجلاوزة والجلادين والانتهازيين، وطلاب السلطة والمال والجاه الزائف، وهي قادرة على صغر حجمها الحدثي والزمني أن تصور ذلك الواقع بأبعاده النفسية والسياسية والفكرية لتكون أداة كاشفة عن طبيعة تلك المساحة التاريخية التي حاول فيها المتسلطون على الرقاب أن يطمسوا معالم الحقيقة فيها، ويشوهوا المسيرة الاسلامية بقيادة أهل البيت (ع).

و يشاهد القارىء عظمة وقوة شخصية الامام وقلق وحيرة السلطة والحواشي والانتهازيين من هذه الشخصية العظيمة، وضعفهم أمام ذلك الكيان الشامخ التليد، رغم ما يملكون من قوة وسلطة ودولة

---

٩٨ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /ص ٢١٣.

ومال، فلم يجدوا غير السجن والارهاب والبطش أداة و وسيلة لحماية سلطانهم و الحفاظ على كراسيهم، وقد تحدث لنا التاريخ عن سجن الامام و معاناته و صبره وبطش أعدائه.

فقد روي أنه: (حج الرشيد في تلك السنة، فبدأ بقبر النبي (ص) فقال: يا رسول الله، إني أعتذر إليک من شي أُريد أن أفعله، أُريد أن أحبس موسى بن جعفر، فانه يريد التشتت بين أُمتک وسفک دمائها.

ثم أمر به فأدخل إليه فقيده، وأخرج من داره بغلين عليهما قبتان مغطاتان هو في أحدهما، و وجه مع كل واحد منهما خيلاً، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة، و الأُخرى على طريق الكوفة، ليعمي على الناس أمره، وكان موسى في التي مضت إلى البصرة، فأمر الرسول أن يسلمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور، و كان على البصرة حينئذ فمضى إليه، فحبسه عنده سنة، ثم كتب إلى الرشيد أن خذه مني و سلّمه إلى من شئت، والا خليت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما أقدر على ذلک، حتى أني لأتسمع عليه إذا دعا لعله يدعو علي أويدعو عليک، فما أسمعه يدعو الا لنفسه، يسأل الله الرحمة والمغفرة.

فوجّه من تسلّمه منه، وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد، فبقي عنده مدة طويلة، أراده الرشيد على شي من أمره فأبى، فكتب إليه ليسلّمه إلى الفضل ابن يحيى، فتسلّمه منه، وأراد ذلک منه فلم يفعله، وبلغه أنه عنده في رفاهية ودعة، وهو حينئذ بالرقة، فأنفذ مسروراً الخادم

إلى بغداد على البريد، وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى فيعرف خبره، فان كان الأمر على ما بلغه أوصل كتاباً منه إلى العباس بن محمد وأمره بامتثاله، وأوصل كتاباً منه إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد، فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لايدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك، فأوصل الكتابين إليهما، فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض ركضاً إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوهاً دهشاً، حتى دخل على العباس فدعا العباس بالسياط وعقابين، فوجه بذلك إلى السندي، فأمر بالفضل فجرد، ثم ضربه مائة سوط. وخرج متغير اللون بخلاف ما دخل، فذهبت قوته، فجعل يسلّم على الناس يميناً وشمالاً.

و كتب مسرور بالخبر إلى الرشيد، فأمر بتسليم موسى إلى السندي بن شاهك).[٩٩]

ج ــ كيف كان الامام يقضي أيام سجنه:

خلقت الأرض كلها في نظر الامام لتكون معبداً ومسجداً ــ كما جاء في حديث رسول‌الله (ص) ــ ووجدت الدنيا لتكون محراباً للعبادة

---

٩٩ ــ فذهبت قوته: في الخطبة «قد ذهبت نخوته».

ومجالا للتسبيح والتقديس، ورحلة للتقرب إلى الله سبحانه والوصول إلىٰ معرفته، فلا تتغير عليه الأحوال، ولا تختلف لديه الأماكن، بل كلما ضاقت عليه حلقات المضيق، وعظمت الشدائد، وتراكمت المحن ازداد قرباً من الله، واستعانة بالصبر والصلاة. فلقد اتخذ الامام من السجن مسجداً، ومن وحشة الحبس و وحدته معتكفاً ومأنساً بذكر الله و قربه سبحانه، فنهاره صيام وليله مناجاة وقيام.

فقد روى أحد الذين كلفوا بمراقبة الامام في سجن عيسى بن جعفر أنه سمع الامام يقول:

(اللّهم إنک تعلم أني كنت أسألک أن تفرغني لعبادتک، وقد فعلت ذلک فلک الحمد).[100]

ولما كان ذلک دأب الامام وديدنه، فقد كتب عيسى بن جعفر إلى الرشيد قائلاً، بعد أن قضى عنده في السجن سنة:

(خذه مني، وسلّمه إلىٰ من شئت، والا خليت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما أقدر على ذلک، حتى إني لأتسمع عليه إذا دعا لعله يدعو عليّ أوعليک، فما أسمعه يدعو الا لنفسه، يسأل الله الرحمة والمغفرة).[101]

---

١٠٠ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /المجلد ١١/ ص ١٠٧/ ج ٤٨.

١٠١ ــ أبو الفرج الأصفهاني: المصدر السابق / ص ٥٠٢.

وعن أحمد بن عبدالله عن أبيه قال:

(دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال لي: أشرف على هذا البيت، وانظر ماذا ترى؟ فقلت: ثوباً مطروحاً. فقال: انظر حسناً، فتأملت، فقلت: رجل ساجد. فقال لي: أتعرفه؟ هو موسى بن جعفر، أتفقده الليل والنهار، فلم أجده في وقت من الأوقات الا على هذه الحالة، إنه يصلي الفجر فيعقب إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة، فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس، وقد وكّل من يترصد أوقات الصلاة، فاذا أخبره وثب يصلي من غير تجديد وضوء، وهو دأبه، فاذا صلى العتمة أفطر، ثم يجدد الوضوء، ثم يسجد فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر).[١٠٢]

واضيف في رواية أُخرى:

(فهذا دأبه منذ حول إلي).[١٠٣]

و جاء في «بحارالأنوار»:

(... فأمر بتسليم موسى إلى الفضل بن يحيى، فجعله في بعض دوره، ووضع عليه الرصد، فكان مشغولاً بالعبادة، يُحيى الليل كله: صلاة، وقراءة للقرآن، ويصوم النهار، في أكثر الأيام، ولا يصرف وجهه

---

١٠٢ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / المجلد ١١/ ص ٦٠٧ /ج ٤٨.

١٠٣ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق /ص ٢١١.

عن المحراب، فوسع عليه الفضل بن يحيى وأكرمه).[١٠٤]

وهكذا كان الامام يؤثر في سجانيه وجلاديه، فقد كان يقضي أوقاته في السجن دعاء ومناجاة واستغفاراً، وركوعاً وسجوداً وتفرغاً للذكر والعبادة، وهو يعتبر ذلك منّةً من الله و رحمة، إذ فرّغه لعبادته، واستخلصه لنفسه.

أي رجل هذا، وأية قوة يمكنها أن تقهره. لقد كان نور قلبه يزيح ظلمات السجون، وصلابة صبره تحطم قيود السجان وإرادة الطاغية، ولذيذ مناجاته يملأ آفاق الوحدة والوحشة أُنساً وسروراً، فما عسى الجلاد أن يصنع، وماذا بوسع الطاغية أن يفعل؟ فالامام يؤثر فيمن حوله ويشع بسلوكه و خلقه وروحه على من يجاورونه.

فمن روائع تأثيره وهديه، وإشعاع سلوكه وإخلاصه، ما رواه العامري في كتاب «الأنوار» قال:

(إن هارون الرشيد أنفذ إلى موسى بن جعفر جارية خصيفة، لها جمال و وضاءة لتخدمه في السجن فقال ﷺ: قل له: «بَلْ أنتمْ بهديتكُمْ تَفرحون». لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها، قال: فاستطار هارون غضباً، وقال: ارجع إليه وقل له: ليس برضاك حبسناك، ولا برضاك أخذناك، واترك الجارية عنده وانصرف. قال: فمضىٰ ورجع، ثم قام

---

١٠٤ ــ الطبرسي: المصدر السابق / ص ٣١١ / ط ٣.

هارون عن مجلسه وأنفذ الخادم إليه ليستفحص عن حالها فرآها ساجدة لربها لا ترفع رأسها، تقول: قدوس، سبحانك، سبحانك، فقال هارون: سحرها والله موسى بن جعفر بسحره...).[١٠٥، ١٠٦]

فلعل هارون أراد أن يغري الامام ويشغله عن أهدافه بجمال الحسان، ومتع الحياة، منطلقاً من فهمه وتقييمه هو لنفسه، وما درى أن الامام مستغرق في جمال الحق وفان بحب الله، قد أعرض عن الدنيا وزينتها، فلا الجواري يشغلن باله، ولا متع الحياة تستهوي نفسه، بل هو داعية حق، وصاحب رسالة، قد نذر نفسه لمبادئه، وأوقف ذاته على ذات الله سبحانه، فغدا مناراً يهدي بقوله وعمله، وداعية يرشد بصمته ونطقه، فصمته نطق بلسان العمل، ونطقه هدى بكلمة الحق، لذا استهوى هديه قلب الجارية، واستولى سلطان روحه على روحها و عقلها حتى غدت تنادي «سبوح، قدوس»، مشدوهة ساجدة، بعد أن كانت ترتع في مسارح اللهو، وتكرع في كؤوس الهوى والغرام، وتقضي وقتها وهي تداعب أوتار الطرب وأنغام الشعر، وتستمتع بحلل الديباج وعقود اللؤلؤ، فصار ديدنها الصلاة والتسبيح والتقديس حتى ماتت، وقيل أن موتها كان قبل شهادة الامام موسى بن جعفر بأيام.

---

١٠٥ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / ص ٢٣٩.

١٠٦ ــ وقعت هذه الحادثة في سجن السندي بن شاهك المعروف بـ(دار المسيب) ببغداد.

وهكذا اختطّ الامام لأجيال المسلمين السيرة الفذة، والسير في طريق ذات الشوكة، رغم الصعاب والمحن، فعلّم السائرين في هذا الطريق الصبر على مرارة السجون والثبات على الحق، والاستهانة بأساليب الجلادين، و وسائل القهر والارهاب. فقد كان الرشيد ينقل الامام من سجن إلى سجن، فمن عيسى بن جعفر، إلى الفضل بن الربيع، إلى الفضل بن يحيى، إلى السندي بن شاهك لعله يخفي شخص الامام، ويقتل روح المقاومة ويغيّبه عن الأذهان. إلا أن وجود الامام موسى بن جعفر في السجن كان له مغزى سياسي، وقيمة جهادية كبرى، وخصوصاً لتنقله بين السجون و متابعة أنباء الأُمة لاخباره، وعجز السلطة عن حسم الموقف معه. فقد كان وجوده يغذي روح الثورة والرفض والمقاومة، ويضفي عليها صفة الشرعية. لذلك فقد رفض الامام التوسط لدى الحكام لاخراجه من السجن، أو اللجوء إلى أي موقف من شأنه أن يضعف في الأُمة هذه الروح. فقد رفض وقال لبعض من طلب منه أن يرسل بعض الشخصيات إلى هارون الرشيد للوساطة و اطلاق حريته:

(حدثني أبي عن آبائه، أن الله عزوجل أوصى إلى داود: يا داود أنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني، وعرفت ذلك منه الا قطعت عنه أسباب السماء، وأسخت الأرض من تحته).[١٠٧]

---

١٠٧ ــ باقر شريف القرشي: المصدر السابق / ص ٤٩٩/ ج ٢.

بهذا الرد الحاسم الصادق عزّز موقفه وإباءه وثقته بالله سبحانه.

ولما أحسَّ الرشيد أن روح المقاومة الصامتة التي أبداها الامام في السجن قد بدأت تأخذ طريقها إلىٰ النفوس، وأن مواقفه بدأت تتفاعل مع وعي الجمهور وإحساس الأُمة، خاف أن يتكثف هذا الوعي، وينمو ذلك الاحساس فيتحول إلى ثورة، فاستشار وزيره يحيى بن خالد، فأشار عليه باطلاق سراح الامام.

وقد نقل العلامة المجلسي صاحب «بحار الأنوار» هذا الموقف من السلطة العباسية كالآتي:

(لما حبس هارون الرشيد أبا ابراهيم موسى، وأظهر الدلائل والمعجزات وهو في الحبس، تحيّر الرشيد، فدعا يحيى بن خالد البرمكي، فقال له: يا أبا علي أما ترى ما نحن فيه من هذه العجائب؟ ألا تدبر أمر هذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمه؟ فقال يحيى بن خالد: الذي أراه لك يا أمير المؤمنين أن تمتنَّ عليه، و تصل رحمه، فقد والله أفسد علينا قلوب شيعتنا. وكان يحيى يتولاه[١٠٨]، و هارون لا يعلم ذلك، فقال هارون: انطلق إليه، واطلق عنه الحديد، وابلغه عني السلام وقل له: يقول لك ابن عمك أنه قد سبق مني فيك يحيى أني لا اخليك حتى تقرَّ لي بالاساءة، وتسألني العفو عما سلف منك، وليس عليك في

---

١٠٨ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / المجلد ١١/ ص ٢٣٠/ ج ٤٨.

اقرارك عار، ولا في مسألتك إياي منقصة...).[١٠٩]

ولما وصل يحيى إلى الامام موسى بن جعفر وأخبره برسالة الرشيد، رفض الامام أن يلبي طلب الرشيد الذي أراد أن يوقف الامام موقف المخاطب المعتذر، وأجابه:

(... وستعلم غداً إذا جائيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه والسلام).[١١٠]

وهكذا حطّمَ الامام موسى بصبره وثقته بالله سبحانه كل وسائل الجور والارهاب من السجن والضغط والقيود والتزييف وتضليل الرأي العام، فلم يكن أمام الرشيد إلا الحل الأخير وهو اغتيال الامام، وانهاء حياته الشريفة، وقد تخيل أنه سيسدل الستار بذلك على أروع فصل من فصول الجهاد والثورة ضد الطغيان، وسيطفىء نور الامامة في أهل هذا البيت، ويتخلص من أعظم شخصية علمية وقيادية في عصره، لذلك أقدم على الجريمة الكبرى، وقرر اغتيال الامام.

---

١٠٩ ــ المعروف تاريخياً أن يحيى هو الذي وشى بالامام موسى بن جعفر، وهو الذي قام بدس السم إليه عن طريق الايعاز إلى السندي، وأن الامام الرضا إبن الامام موسى بن جعفر (ع) كان يحمّلُ البرامكة دم أبيه، وكان يدعو عليهم، فلا وجه للقول أن يحيى كان يتولى الامام سراً.

١١٠ ــ العلامة المجلسي: المصدر السابق / ص ٢٣١

د ــ الامام الشهيد:

لقد جهد الرشيد نفسه في أن يتخلص من الامام موسى بن جعفر بشتى الوسائل والأساليب. فشخصية الامام وعلو مقامه في النفوس، وسمو مكانته يؤرّق منام الرشيد، ويكدّر عليه عيشه، فقلوب الناس متعلقة بأهل هذا البيت، وحبهم مستول على النفوس، فليس في المسلمين من لا يعرفهم، أو يجهل قدرهم، فالكل يكنّ لهم الاحترام، أو يخشى الرأي العام بالتجاوز على مقامهم المرموق، ومكانتهم من رسول الله، الا أولئك الذين ران على قلوبهم حب الدنيا، وداسوا كل القيم والمثل تحت أقدامهم. لذلك كان من الصعب المجاهرة بعدائهم، أو المصارحة دون تضليل بمحاربتهم، لذلك رفض عيسى بن جعفر والي البصرة قتل الامام واستعفى الرشيد من ذلك، وطلب نقله من سجنه، فنقله الرشيد إلى سجن الفضل بن الربيع، فأثرت شخصيته في نفس الفضل بن الربيع، كما أثر في نفس عيسى بن موسى من قبل، فرفض الفضل قتل الامام وتحمل أوزار الجريمة التي أراد منه الرشيد أن يرتكبها، فلم يجد الرشيد بداً من نقله إلى الفضل بن يحيى، فاستلمه الفضل بن يحيى، و وسّع عليه، وخفّف عنه أعباء السجن، وطلب منه الرشيد أن ينفذ في الامام جريمة القتل فرفض، وحينما علم الرشيد

بالمعاملة الحسنة التي يبديها الفضل بن يحيى للامام، شقّ عليه هذا الميل، وعظم عليه هذا الموقف، فأمر بمعاقبة الفضل، فجرد من ثيابه، وضرب مائة سوط في مجلس العباس بن محمد.

وهكذا فلم يجد الرشيد في أنصاره وحاشيته أفضل من مدير شرطته في بغداد: السندي بن شاهك، وكان فظاً غليظاً قاسياً ــ شأن كل الجلادين والقتلة ــ .

وكما رأينا من سير البحث فان السندي بن شاهك قد تسلم الامام من الفضل بن يحيى، ووضعه في سجنه فأرهقه بالسلاسل والقيود، وضيق عليه وعامله معاملة خشنة قاسية. وحينما بلغ يحيى بن خالد خبر ابنه الفضل شقّ عليه موقف الرشيد من الفضل وضربه واهانته، فأراد أن يسترضي الرشيد، ويستميله ويرد اعتبار الأُسرة عند الحاكم العباسي. فلم يرثمناً لشراء هذا الرضى الرخيص الا دم الامام الطاهر، وقطع هذا الغصن من شجرة النبوة واغضاب رسول الله وفري كبده.

وهكذا تفعل النفوس الخسيسة التي يسيطر عليها اللؤم والملق والتزلف. تتقرب من الحكام والجلادين بسفك الدماء واضطهاد دعاة الهدى، والجور على المظلومين مقابل جاه زائف، أو متع فانية منطلقة من ضعة نفسية، وإحساس بالنقص والحقارة وحاجة إلى رضى الآخرين وقبولهم.

فانطلق يحيى بن خالد إلى بغداد بعد أن تشاور مع الرشيد، وأكد له أن الفضل شاب غير مجرب، ولا بارع في تنفيذ مخططات الجور والارهاب، فعرض عليه استعداده للتوجه إلى بغداد[١١١]، فسرّ الرشيد بهذا المنفذ المطيع، وأذن له بارتكاب الجريمة النكراء. فتوجه يحيى بن خالد إلى بغداد يتأبط الشر، ويخطط لارتكاب الجريمة، وما أن وصل بغداد حتى اجتمع بالسندي بن شاهك مدير شرطة الرشيد، وقدم له صورة المخطط، وكيفية التنفيذ، فأجاب متقبلاً طائعاً، فدسّ السم في رطب قدم للامام، وقيل جعل السم بطعام آخر، فتناول الامام طعام الغدر والفاجعة، فأحس بالسم يسري في جسده الطاهر، وراح يقاوم آثار السم ثلاثة أيام، فلم يستطع مغالبة المنية، فلفظ أنفاسه الأخيرة، وفاضت روحه الطاهرة في اليوم الثالث في سجن السندي بن شاهك، وقيل في مسجد هارون المسمى بمسجد المسيب، ففاز بالشهادة في اليوم الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة.[١١٢]

---

١١١ ــ كان الرشيد وقتها في الرقة متوجهاً إلى الشام.

١١٢ ــ اختلف المؤرخون في المدة التي قضاها الامام في السجن، الا أن هناك رواية تقول: إن الرشيد حجَّ عام ١٧٩ هـ، فقبض على الامام ونقله الى بغداد، فسجنه و بقي في السجن حتى يوم شهادته في ٢٥ رجب ١٨٣ هـ. فعلى هذه الرواية تكون مدة سجن الامام حوالى أربع سنوات.

وهكذا أفل نجم الامام، وتوارى نوره من سماء بغداد الفجيعة، فأرخى ليل الحزن عليها سدوله، وتلبدت سماؤها الكئيبة بغيوم اللوعة والأسى، وغرقت عيناها الذا هلتان بدموع الثكل والفراق، فألقت مدينة المنصور وشاح السلام المزيف الذي شاء بانيها أن يخلعه عليها، خلعته لترتدي ثياب الحزن والاحتجاج. ألقته لتصرخ بوجوه القتلة: لم أعد مدينة للسلام، ولا مقاما للهداة الأحرار. وقف الجلاد واجماً، وتجسدت أمامه أشباح الجريمة، وارتسمت في نفسه فصولها المروعة: بشعة محزنة، وأحس هذا الارهابي، السندي بن شاهك، بعظم الكارثة، فرأى بغداد تموج وتضطرب من حوله. رأى القتلة ذلك، فخيل إليه أن صوت الحق ينطق على كان لسان، ويتعالى في كل أفق من بغداد الحزينة: إن الامام قضى مظلوماً، ثوى في سجون الظالمين شهيداً.

رحل الامام من سجنه مجداً شامخاً، وتوحل الرشيد والسندي في عار الجريمة. يا لثارات الشهداء، يا ليوم المظلوم على الظالم. أحس السندي بالخطر، وشعر المتآمرون أن حبل الجريمة يلتف على أعناقهم، فارتبك البلاط، واضطرب المتآمرون، وفتشوا عن عذر يلوذون به، فتشوا عن قميص يوسف، عن الذئب المفترس ليكون

و رواية أخرى تقول أن الرشيد سجن الامام بعد مضي ست أو سبع سنوات من تسلمه زمام السلطة، فتكون المدة التي قضاها الامام في السجن هي ست أو سبع سنوات تقريباً.

الضحية، فلم يجدوا غير القول: انه مات حتف أنفه. انه عاش في السجن مرفهاً مكرماً. لقد أدركته المنية. لسنا نحن الذين قتلناه. وراحوا يُهرعون الفقهاء، ويُهرعون الوجهاء من آل أبي طالب و وجوه بغداد، ويكشفون عن وجه الامام ليتفرس فيه الشهود، ويدونوا المحاضر والافادات، ويثبتوا الأدلة والشهادات: إن الامام مات حتف أنفه، ولم يقتله أحد.

ومع ذلك فان الحقد وروح الانتقام لم تغادر هذه النفوس، فترك الامام ثلاثة أيام مسجى في سجنه، ثم وضع على جسر الكرخ ببغداد ينادى على جنازته: هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا اليه.[١١٣]

بقيت جنازة الامام موسى بن جعفر (ع) على جسر بغداد، وشرطة السندي بن شاهك ينادون عليه بالأقاويل والتهم، والناس تغدو و تروح، وهي في صخب وضجيج. فبلغت الضوضاء سليمان بن أبي جعفر المنصور ــ عم الرشيد، وهو في الجانب الآخر من دجلة ــ

---

١١٣ ــ فلما مات أُدخل عليه ــ أدخلهم السندي بن شاهك ــ الفقهاء و وجوه أهل بغداد، و فيهم الهيثم بن عدي وغيره، فنظروا إليه لاأثر فيه، و شهدوا على ذلك، وأُخرج فوضع على جسر بغداد، و نودي: هذا موسى بن جعفر قد مات، فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرسون في وجهه، و هو ــ عليه السلام ــ ميت. (المجلسي: بحار الأنوار /المجلد ١١/ ص ٢٣٤/ ج ٤٨).

فاستفسر من غلمانه عن الخبر، فقيل له: انها جنازة موسى بن جعفر ينادي عليها شرطة السندي بن شاهك (مدير شرطة الرشيد)، فساءه الذي سمع وأحرج موقفه وموقف بني العباس في نفسه فأمر غلمانه أن يستنقذوا جنازة الامام من أيدي شرطة السندي بن شاهك إذا هم عبروا بها إلى الجانب الشرقي من بغداد، فانتظرهم الغلمان حتى عبروا بجنازة الامام إلى الجانب الثاني من بغداد فهجموا عليهم واستنقذوا جثمان الامام الطاهر وأتوا به إلى سليمان بن أبي جعفر المنصور، فغسل وحنط وكفن وصلي عليه وشيع إلى مرقده الشريف.

وقد سارت جماهير بغداد و وجوهها و أشرافها يتقدمهم سليمان بن أبي جعفر المنصور في موكب جنائزي حزين، يحيطه الاجلال والعظمة، فلم تشهد بغداد يوماً كذلك اليوم، ولا فاجعة كتلك الفجيعة. وسار الموكب حتى انتهى إلى مقابر قريش حيث أُرقد الامام، و وري جثمانه الطاهر في تربته المقدسة.

فسلام عليه يوم ولد، ويوم قضى شهيداً في ظلمات السجون، ويوم يبعث شاهداً.

الامام الخليفة
علي بن موسى الرضا (ع)

و كما شاء الله فكل إمام من أئمة أهل البيت (ع) يوصي للامام الذي يخلفه، فهو المسؤول عن تعيين خليفته و وارث مقامه، لتعرف الأُمة إمامها ومرجعها. لذا فقد عيّنَ الامام موسى بن جعفر ولده الامام الرضا (ع) خليفة له، ونص على إمامته وأبلغ ذلك إلى أتباعه وأصحابه.

فعن سلسلة من الرواة عن داود الرقي قال:

(قلت لأبي ابراهيم موسى بن جعفر (ع): جعلت فداك، قد كبر سني، فحدثني من الامام بعدك؟ قال: فأشار إلى أبي الحسن الرضا (ع) وقال: **هذا صاحبكم من بعدي**).[١١٤]

---

١١٤ ــ الشيخ الصدوق: المصدر السابق /ص ١٩/ ج ١. المطبعة الحيدرية.

و عن سلسلة من الرواة عن عبدالله بن مرحوم قال:

(خرجت من البصرة أُريد المدينة، فلما صرت في بعض الطريق لقيت أبا ابراهيم (ع) وهو يُذهب به إلى البصرة، فأرسل علي فدخلت عليه، فدفع إلي كتباً وأمرني أن اوصلها بالمدينة، فقلت: إلى من أدفعها جعلت فداك؟ قال: **إلى ابني علي فانه وصيي والقيم بأمري وخير بني**).[١١٥]

وعن سلسلة من الرواة عن الحسين بن المختار:

(خرجت إلينا ألواح من أبي ابراهيم موسى (ع)، وهو في الحبس، فاذا فيها مكتوب: **عهدي إلى أكبر ولدي**).[١١٦] يعني علي الرضا (ع).

هذه نصوص صدرت عن الامام الكاظم (ع)، ونصت على إمامة ولده علي الرضا (ع)، لتتصل سلسلة الامامة وتستمر المسيرة وتحفظ الامانة.

«**ذُرِّيَّةً بعضُها مِنْ بعضٍ**».

---

١١٥ ــ الشيخ الصدوق: المصدر السابق /ص ٢٢.

١١٦ ــ الشيخ الصدوق: المصدر السابق / ص ٢٥.

المنار الخالد

اودع الجثمان الطاهر في أرض السلام في المقبرة المخصصة لبني هاشم وللأشراف من الناس، والتي تسمى (مقابر قريش)، كما تسمىٰ (مقابر بني هاشم). وتقع هذه المقبرة في الأرض الواقعة شمال بغداد، وهي أرض اقتطعها المنصور بعد تأسيس مدينة بغداد وجعلها مقبرة لقريش، وكان اسمها قبل ذلك (الشونيزي الصغير)، ثم اشتهرت بعد ذلك باسم مقابر قريش، وصارت تعرف بهذا الاسم. ثم اشتهر مدفن الامام باسم (مشهد باب التبن) نسبة إلى باب التبن الذي كان في شرقيه مما يقرب من دجلة.

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن هذه المنطقة لم تبدأ بالنمو والظهور المدني والحضاري، كمدينة وحاضرة لها قيمة تاريخية في تاريخ الاسلام الا بعد احتضانها للجثمان الطاهر، فقد بدأ الناس

يتوافدون على هذه الأرض الطاهرة ويجاورون الامام موسى بن جعفر في السكن والاقامة وخصوصاً العلويين والموالين لأهل البيت (ع). فنما هذا التجمع السكاني، وتوسعت المدينة[117،118] وأصبحت تضم العلماء والفقهاء وأشراف العلويين وعامة الناس. فلقد كان الامام مناراً ومزاراً و موئلاً تهفو القلوب إليه، وتستريح إلى جواره النفوس، وتطلب بقربه الحوائج والبركات حتى سمي (باب الحوائج). ولقد كان عظيماً في مماته ومثواه، كما كان عظيماً في حياته و وجوده المقدس بين الناس.

ولقد حضى مرقده الشريف فيما بعد بعناية مختلف طبقات الأُمة، العامة منها والأشراف والعلماء والحكام والسلاطين والأثرياء. ونستطيع أن نكتشف جانباً من عظمة شخصية الامام من هذه العناية والرعاية، ونعرف موقعه في النفوس وأثره، كعظيم تشرفت سجلات التاريخ بتزيين صفحاتها بجهاده وعلمه و مجده التليد.

لقد أصبح مرقده آية في الفن والجمال، ولوحة تحكي الحضارة الاسلامية عبر القرون بابداعها في الخط والزخرفة والفن والعمارة. لقد

---

١١٧ ــ استفيدت هذه المعلومات من دائرة المعارف الاسلامية الشيعية لحسن الأمين /المجلد الثالث /ص ٢٥٧.

١١٨ ــ فعرفت فيما بعد هذه المدينة بـ«مدينة الكاظمية» نسبة إلى هذا الامام العظيم، وتسمى الآن بهذا الاسم.

شمخ ذكره وخلد مجده، و عرفته الأجيال فلم تستطع أن تبخسه حقه.

لقد خرج جثمانه الطاهر من ظلمات السجون غريباً مطروحاً على قارعة الطريق ينادىٰ علىٰ جنازته بعبارات الدس والتشنيع والافتراء المعبرة عن الحقد والظلم والغبن لأهل هذا البيت. ولم يكن حينذاك بوسع أحد من أهل بيته و محبيه أن يقرب من جنازته أو يجري عليها ما يجب إجراؤه على موتى المسلمين.

خرجت الجنازة على هذه الحالة، والقتلة والجلادون يعيشون في بروجهم، و بين جواريهم و مواليهم، متولين بركن الكبرياء، و معتزين بالأسنة والحراب، وظنوا ــ كما يظن أمثالهم من الظَلَمَة والجلادين ــ أن الستار قد أُسدل على هذا الفصل من التاريخ، و أن السراديب و ظلمات السجون قد طوت بين أرجائها هذه الصفحة المشرقة من تاريخ أهل البيت.

حقاً لقد خرج الامام (ع) من سجنه المؤقت ليدخل فيه الظلمة والجلادون إلى الأبد. لقد آوى إلىٰ ربه راضياً مرضياً، وضمت الأرض جسده الطاهر فانتصب مرقده الشريف وثيقة تاريخية خالدة في قلب الزمن، تسرد على مسامع الأجيال قصة صراع أهل البيت مع خصومهم عبر تاريخ الاسلام الخالد، وتصرخ بوجه الظلمة في كل عصر و جيل أن ليس بوسع القيد والسجن وسيف الجلاد أن تقهر إرادة الحق، أو تخفي معالم الهدى في سراديب السجون وصفحات التاريخ المزيف، وتلقن

الجبناء والمتخاذلين و ضعاف النفوس الناكصين عن مقاومة الظلمة الراضين بعيش الذل والمهانة درساً في الاباء والثبات على الحق.

وفيما يلي ننقل للقارىء تعريفاً بمشهد الامام والأطوار التي مرّبها مرقده و ضريحه الشريف و عناية الحكام والسلطات المتعاقبة على حكم العراق.

والبحث مأخوذ من «دائرة المعارف الاسلامية الشيعية» للاستاذ حسن الأمين، والبحث للشيخ محمد حسن آل ياسين.

المشهد الكاظمي

في العام ١٨٣ هـ لخمس بقيت من رجب توفي الامام موسى الكاظم (ع) في بغداد، فحمل جثمانه إلى مقابر قريش فدفن هناك حيث قبره الآن.

وليس لدينا من أحاديث المؤرخين ما يصلح أن يكون وصفاً لقبر الامام (ع) حين دفن، وما أُضيف إليه و ما أُسبغ عليه من بناء و عمران بعد ذلك بسنوات.

و في العام ٢٢٠ هـ في آخر ذي القعدة توفي الامام محمد الجواد (ع) في بغداد فدفن في تربة جده موسى الكاظم (ع).

ولم نعثر على وصف لما أصبح عليه المشهد بعد دفن الامام الجواد (ع) مباشرة أو بعد ذلك بحين، ولكن المتيقن أن القبرين كانا في بنية خاصة بهما، وكان يتردد لزيارتهما كثير من الناس في هذه البنية

الخاصة. ويستفاد من كلام بعض المؤرخين ــ من ذكر تربة موسى بن جعفر ــ أن هناك قبة خاصة شملت القبرين، لأن التربة لا تطلق الا على قبر مختص عليه قبة، كما يستفاد من رواية مسكويه أثناء حديثه عن المحسن بن الوزير ابن الفرات، وجود سكان حول المشهد وبجانب مقابر قريش.

وكان للمشهد خلال العصر العباسي خمس عمارات نلخصها فيما يأتي:

١ ــ العمارة الاولى بعد وفاة الامام موسى بن جعفر (ع) مباشرة. وكانت عمارة بدائية صغيرة، ولعلها كانت لا تتجاوز غرفة واسعة خاصة بالقبر عليها قبة ولها أبواب، وإلى جانبها حجر متعددة يودع فيها الأثاث والزيت، وينام فيها الخدم والقوامون، ويحيط بها عدد من المساجد، يعتبر مسجد باب التبن أشهرها.

٢ ــ و كانت العمارة الثانية بعد استيلاء معز الدولة البويهي على بغداد، حيث أعاد تشييد المرقد سنة ٣٣٦ هـ، و وضع على القبرين ضريحين من خشب الساج و فوقهما قبتان من الساج أيضا، وأدير عليهما حائط كالسور و كانت هذه العمارة أول عمارة كبرى تشيد على المرقد. ويستفاد من النصوص التاريخية أن القبتين كانتا كبيرتين يتسع فضاؤهما لعدد غفير من المصلين والزائرين. و إن القبرين كانا منفصلين في حجرتين. و كان من نفائس ما أُهدي إلى المشهد بعد انتهاء

هذه العمارة بفترة قصيرة قنديل صفر مربع غاية في حسنه.

واستمرت العناية بهذه العمارة و إضافة ما ينبغي إليها، و توسيع ما يجب توسيعه منها حتى بلغت في سنة ٤٤٣ هـ غاية فخامتها و روعتها، وأصبحت زاخرة بالقناديل والستور والمحاريب، وأكثرها من الفضة والذهب، وأصبح للمشهد سور يدور حوله و أبواب للدخول والخروج، و بوابون و قوام و ترب كثيرة للأشراف من الناس.

٣ ــ وقامت العمارة الثالثة في سنة ٤٥٠ هـ بعد الحريق الذي أصاب المشهد سنة ٤٤٣هـ بفعل فتنة طائفية. و هي عمارة البساسيري، واشتملت على بناء المشهد كاملاً من أساسه، و وضع صندوقين جديدين على القبرين، وتشييد بهو واسع من جهة الجنوب، و مسجد و مئذنة. وأصبحت القبتان في هذه العمارة قبة واحدة.

٤ ــ أما العمارة الرابعة فهي عمارة مجد الملك القمي سنة ٤٩٠ هـ. وقد اشتملت على صندوقين جديدين من الساج وضعا فوق القبرين، و مئذنتين كبيرتين، كما اشتملت على تزيين بالفسيفساء، وتشييد داربجوار المشهد لاستراحة الزائرين واقامتهم. ولعل تسمية هذه الأعمال بالعمارة لاتخلو من مسامحة، لأنها في الحقيقة مجموعة مرافق اضيفت للعمارة السابقة التي لم يكن مر عليها أكثر من أربعين عاماً.

٥ ــ وكانت العمارة الخامسة عمارة الناصر لدين الله سنة ٥٧٥

هو ما يليها من السنين، وهي عمارة وسعت وأُضيف إليها الشيء الكثير خلال عهد الناصر الطويل وبعده، فكانت خاتمة عمارات العصر العباسي بل أفخمها أيضا.

ونلخص، فيما يأتي، بايجاز وصفاً للمشهد في أُخريات العصر العباسي من ناحية شكله وعمرانه وما دار عليه سوره من مرافق و ملحقات:

كان على القبرين الشريفين صندوقان من الخشب الجيد.

كانت في المشهد مكتبة.

كان إلى جوار المشهد محل خاص بالأيتام.

و كانت في المشهد حلقات دراسية. و كانت الترب في المشهد كثيرة جداً.

و كان يتصل بالمشهد صحن فيه حجر وإيوان واحد أو أكثر.

و كانت حول القبرين الشريفين أبهاء و أروقة. و كانت في المشهد دار لاستراحة الزائرين. كان المشهد مجمعاً للزائرين والقاصدين في المناسبات الدينية والأعياد. و كان للمشهد خدام و بوابون و نقيب يشرف على شؤون المشهد.

وأصبحت حول المشهد مدينة عامرة بالسكان يدور عليها سور. و كان للمشهد سور يحيط به و هو غير سور البلدة.

ويصف ياقوت الحموي المشهد فيقول:

(ويعرف قبره ــ أي الامام الكاظم (ع) ــ بمشهد باب التبن مضاف إلى هذه الموضع و هو الآن محلة عامرة ذات سور مفردة).

(مقابر قريش ببغداد و هي مقبرة مشهورة، و محلة فيها خلق كثير، و عليها سور).

و في سنة ٧٦٩ هـ قام السلطان اويس الجلايري بتعمير المشهد في قبتين و منارتين، وأمر بوضع صندوقين من الرخام الجيد على القبرين الشويفين، و زين الحرم بالطابوق الكاشاني الذي كتبت عليه سور من القرآن الكريم، كما عمر الرواق و رباطا كان في الصحن وأمر باطلاق الأموال للخدام والسدنة وسائر العلويين الساكنين هناك.

و كانت هذه العمارة الجلايرية هي الاولى بعد انقضاء العصر العباسي، والظاهر أن سبب إنشائها تصدع المشهد من جراء تتابع الغرق والفيضانات.

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادي الثانية سنة ٩١٤ هـ انتهى عهد التركمان بدخول الشاه اسماعيل الصفوي بغداد فاتحاً محتلاً.

وبعد مرور فترة من الزمن على بقائه في العراق مضى لزيارة المشهد الكاظمي، فأنعم على من كان هناك بأنواع الانعام، و عين الرواتب لخدام المشهد، وأصدر أمره بقلع عمارة المشهد من أساسها وتجديدها تجديداً يشمل توسيع الروضة وتبليط الأروقة بالرخام، و

صنع صندوقين خشبيين يوضعان على القبرين الشريفين، و تزيين الحرم وأطرافه الخارجية بالطابوق الكاشاني ذي الآيات القرآنية والكتابات التاريخية، كما أمر بأن تكون المآذن أربعاً بعد أن كانت اثنتين، وبتشييد مسجد كبير في الجهة الشمالية للحرم متصل به. وأحال أمر تنفيذ ذلك إلى أمير الديوان خادم بيك، وعاد إلى إيران.

كذلك أمر الشاه أيضاً بتنظيم شؤون الصحن المحيط بالمسجد، وكان فيه رباط للحيوانات التي تقل الزائرين إلى المشهد و منه، فأمر بابعاده و جعله خلف الصحن.

كما أمر بتقديم ما يحتاجه المشهد من فرش وقناديل، وكان منها الفضي والذهبي، و عين للمشهد عدداً من الحفاظ والمؤذنين والخدام.

وبدأ العمل على قدم وساق، فتم تشييد هيكل الحرم و روضته و أروقته ــ وهو الهيكل القائم اليوم ــ والقبتين والصندوقين والمسجد، وبلغت المآذن الكبيرة الأربعة ارتفاعاً يعلو عن سطح الحرم بمقدار ذراع، كما تم صنع الكاشاني و وضعه في محله المقرر، كذلك وضع الرخام في موضعه، لم يبق شيء مما أمر به الا وقد نفذ منه ــ ما وسعه الوقت ــ بأمانة ودقة و إخلاص.

والآثار الصفوية المؤرخة الباقية إلى اليوم ــ بالاضافة إلى هيكل الحرم والجامع المتصل به ــ ثلاثة:

الأثر الأول:

الطابوق الكاشاني الموضوع على جدار الروضة المطهرة، وهو الطابوق الذي يحيط بالروضة من داخلها ويرتفع عن أرضها نحواً من مترين وتزينه بأجمعه كتابة تبدأ من منتصف الجدار الغربي للروضة «جهة الرأس» و تفتتحها سورة الدهر حيث تنتهي في أواسط الجدار الشرقي مارة بالجدار الجنوبي، وتليها سورة النبأ التي تنتهي بنهاية الجدار الشمالي، ثم تبدأ ثلاث آيات من سورة الزمر:

«وسيقَ الذين اتقوا ربَّهم إلىٰ الجنةِ زُمراً»، إلى قوله تعالى «وقيل الحمد لله ربّ العالمين».

و يلي ذلك رقم ٩٣٥ تاريخاً لانتهاء صنع هذا الكاشاني.

ويظهر من تاريخ هذا الطابوق أن الأعمال العمرانية قد تمت بعد وفاة اسماعيل و في عهد الشاه طهماسب، بل يمكن تحديد تاريخ نصب هذا الطابوق وانتهاء الأعمال العمرانية بعام ٩٣٦ هـ، وهو العام الذي استعاد به طهماسب الأول حكم العراق من يد الأمير ذي الفقار رئيس قبيلة موصلو الكردية. وكان هذا الأمير قد انتزع حكم العراق من الصفويين ما بين ٩٣٠ ــ أوائل ٩٣٦ هـ.

الأثر الثاني:

الطابوق الكاشاني المثبت في جدار الرواق الشرقي من جهته الخارجية المقابلة للصحن، وقد اودع ذلك في إيوان خاص ذي ثلاثة أضلاع يقع في أواسط «طارمة باب المراد»، ملاصقاً للباب الرئيسي الذهبي.

وفي يوم الأثنين ٢٤ جمادي الاولى سنة ٩٤١ هـ دخل السلطان سليمان القانوني بغداد محتلاً لها و مزيلاً حكم الصفويين. وفي ٢٨ جمادي نفسه ــ أى بعد أربعة أيام من الاحتلال ــ بدأ السلطان جولة طاف خلالها في أطراف بغداد وأنحائها، و كان المشهد الكاظمي إحدى تلك المناطق التي زارها.

وعندما زار السلطان مرقد الامامين (ع) أمر بدفع رواتب لخدام المشهد من خزانة بغداد، كما أصدر السلطان فرماناً با كمال النواقص الصغيرة التي لم يكملها الصفويون.

وفي يوم الأحد ٢٣ ربيع الأول سنة ١٠٣٢ هـ فتح الشاه عباس الكبير الصفوي بغداد، فعاد لها حكم الصفويين بعد غياب دام ٩٢ عاماً.

وبعد استتباب الأوضاع واستقرارها زار الشاه المشهد الكاظمي وأمر باعادة تشييد ما خربته الحروب والفتن، و ما سببته من

إهمال وتسيب.

وكان من أبرز أعماله أمره بصنع ضريح ضخم من الفولاذ يوضع على الصندوقين الخشبيين ليقيهما غوائل النهب والسلب أثناء معارك الفوضى أو هجوم العشائر على البلدة.

وبالنظر إلى ما حدث بعد ذلك من تأزم في العلاقات السياسية بين إيران و تركيا فقد تأخر إرسال هذا الضريح حيناً طويلاً من الدهر استمر حتى عام ١١١٥ هـ، حيث وصل إلى الكاظمية في شهر جمادي الثانية من تلك السنة وفد كبير يضم لفيفاً من علماء الدين والوزراء والوجهاء الايرانيين وفي مقدمتهم شيخ الاسلام الشيخ جعفر الكمرئي، ومعهم هذا الضريح الفولاذ، واقيم لنصبه على المرقد احتفال عظيم حضره الآلاف من العراقيين والايرانيين. ويروى أن هذا الضريح كان على جانب كبير من الضخامة والفخامة، وأنه كان يشتمل على كتابات كثيرة من جملتها سورة الدهر وآيات أُخرى من القرآن المجيد، مضافاً إلى بعض الأبيات والمقطعات الشعرية.

و من أعمال الصفويين خلال عهدهم الثاني في العراق ما أمر به الشاه صفي بن عباس الصفوي سنة ١٠٤٥هـ باجراء بعض الاصلاحات في المشهد، كاحكام قواعد المنائر الكبيرة وتصغير المنائر الأربعة الصغيرة الواقعة في زوايا سطح الحرم حذراً من عدم تحمل دعائم القبتين لكل هذا العبء الثقيل.

و في سنة ١٢٠٧ هـ بدأ العمل في المشهد الكاظمي على قدم و ساق، تنفيذاً لأوامر آقا محمد شاه القاجاري باكمال ما بدأه الصفويون في هذا المشهد. واشتملت هذه الأعمال على إنشاء المنائر الثلاث الكبرى التي رفع الصفويون سمكها إلى حد السطح، و كانت الرابعة مشيدة منذ عهد السلطان سليم، ولكنها بلا سقف من فوق رأس المؤذن، فشيد لها بهذه المناسبة سقف كسقوف الثلاثة الأُخرى الجديدة.

و من تلك الأعمال أيضاً تأسيس صحن واسع يحف بالحرم من جهاته الثلاث الشرقية والجنوبية والغربية، ويتصل الجامع الكبير بالحرم من جهته الشمالية. و تم تخطيط الصحن بمساحته الموجودة اليوم.

ولم تنقطع الأعمال العمرانية في المشهد بموت محمد شاه سنة ١٢١١ هـ، بل كانت للشاه الجديد فتح علي شاه أعمال أُخرى، منها: نقش باطن القبتين ــ سقف الروضتين ــ بماء الذهب والميناء وقطع الزجاج الملون، ومنها: تزيين جدران الروضة كلها من حد الطابوق الكاشاني الصفوي «الكتيبة» إلى أعلى الجدار المتصل بالسقف بقطع الزجاج الجميل المثبت على الخشب.

و كان من أبرز أعمال هذا الشاه تذهيب القبتين والمنائر الصغار الأربع، و ذلك لما جدد هذا الشاه تذهيب قبة الحسين (ع) بكربلاء، وبقي الذهب القديم فائضاً عن الحاجة فنقل ــ بموجب فتوى

شرعية ــ إلى الكاظمية، حيث أُعيد صقله و طليه على الطابوق المعد لهذا الغرض، وأُضيف إليه ما لزمت إضافته، و تم هذا التذهيب في سنة ١٢٢٩ هـ.

وفي سنة ١٢٥٥ هـ غشي الايوان الصغير الذي يشرع فيه باب الرواق في (الطارمة) الجنوبية بالذهب، وكان ذلك بنفقة منوچهر خان الملقب بمعتمد الدولة أحد رجال الحكومة الايرانية، وقد توفي نحو سنة ١٢٦٠ هـ.

وفي سنة ١٢٥٥ هـ أيضا أهدى السلطان محمود الثاني المشهد الكاظمي «السترالنبوي»، وهو من السندس المطرز، فاسدل على الضريح في ليلة القدر من شهر رمضان من السنة المذكورة.

وأهدى السلطان عبدالمجيد ابن السلطان محمود العثماني مشكاتين للمشهد الكاظمي خلال فترة حكمه ١٢٥٥ ــ ١٢٧٧ هـ.

وفي عام ١٢٧٠ هـ أرسل ناصرالدين شاه القاجاري ملك ايران أحد علماء عصره المعروفين وهو الشيخ عبدالحسين الطهراني المشتهر بلقب «شيخ العراقيين». إلى العراق للاشراف على تنفيذ مخطط عمراني واسع للعتبات المقدسة من تجديد وإصلاح وتجميل، وخوله التخويل الكامل في الصرف والتصرف.

وبدأت الأعمال العمرانية في المشهد الكاظمي سنة ١٢٨١ هـ بعد انتهاء أعمال العمران في كربلاء و سامراء. و كان من جملة ما حصل

عليه المشهد إحكام أُسس جدرانه من قعرها المتصل بالماء إلى أعلى، وتجديد الواجهة الخارجية من جدران الحرم، وتغشية الجدران بالطابوق الكاشاني، وتأسيس دكتين كبيرتين أمام الحرم متصلتين به من جهتيه الجنوبية والشرقية و تبليطهما بالمرمر، وبناء مداخل في أطراف هاتين الدكتين لايداع الزائرين أحذيتهم وأماناتهم فيها.

ثم تم اختيار الدكة الشرقية لرفع سقف عليها يقوم على ٢٢ عموداً خشبياً، وأطلق على المجموع إسم «طارمة باب المراد».

ثم ذهّب الايوان الكبير الواقع في وسط «الطارمة» الشرقية بمازاد من الذهب الذي ذهّبت به قبة العسكريين (ع) في سامراء.

وانتهى العمل في كل ذلك سنة ١٢٨٥ هـ.

ويشرف القرن الثالث عشر الهجري على الانتهاء وقد انتهت سائر الاصلاحات المطلوبة في المشهد بروضته وأروقته وإيوانيه «طارمتيه»، وأصبح آية في الفن والجمال والابداع والاحكام. فلا غرو إذا ما اتجهت الأنظار إلى ضرورة تجديد بناء الصحن لأنه بشكله ذاك لم يكن يتناسب مع فخامة الحرم، خصوصاً وأنه كان متربا بلا تبليط ولارصف، و إن سوره من الطابوق العادي، و إن القبور فيه متطامنة يتعثر فيها الماشي، و بركة الماء في وسطه من الجهة الشرقية تغمر الأرض حواليها بالطين والوحل، وليس فيه موضع يستفاد منه للصلاة سوى دكة كبيرة في شمال الجهة الشرقية تقام فيها صلاة الجماعة.

وتطوع الأمير فرهاد ميرزلي القاجاري ــ عم ملك إيران ناصرالدين شاه ــ للانفاق على هذا المشروع الضخم الكبير.

وقد اشتمل التعمير على ما يأتي:

أ ــ بناء سراديب منظمة لدفن الموتى في ساحة الصحن وإيواناته وحجراته.

ب ــ تذهيب المنائر الأربعة الكبرى من حد وقوف المؤذن إلى قمتها.

ج ــ تشييد سور مرتفع للصحن يتكون من طابقين.

د ــ تأسيس قاعدتين ضخمتين في سطح الطابق الثاني من الصحن فوق البابين الرئيسين في جانبي الشرق والجنوب لنصب ساعتين كبيرتين عليهما.

وعلى أي حال، فقد بدأ العمل في عمارة الصحن يوم ١٧ ذي القعدة ١٢٩٦ هـ، و تم بجميع مافيه في ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٠١ هـ.[١١٩]

«وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين».

---

١١٩ ــ محمد حسن آل ياسين: دائرة المعارف الاسلامية الشيعية: حسن الأمين / المجلد ٣/ ص ٢٦٣ ــ ٢٦٧.

الفهرس

الموضوع — الصفحة

كلمة الدار ٥
* مقدمة ٨
* بين يدي الامام ١٧
العابد المتهجد ٢٢
واهب العفو والحرية ٢٩
بروسخاء ٣٣
* مدرسته و مقامه العلمي ٣٧
أ ـ تعريف بالامام و مدرسته العلمية ٣٧
ب ـ من معارف الامام في التوحيد ٤٤
ج ـ الامام يثبت المصادر الأساسية للفكر والتشريع ٤٩
د ـ العقل وقيمته العلمية والسلوكية عند الامام ٥٢
و ـ إضمامة من معارفه في التربية والتوجيه ٥٨
* نظرة في الظرف السياسي والاجتماعي الذي أحاط بعصر الامام ... ٦٢
أ ـ الامام وأبوجعفر المنصور ٧١
ب ـ الامام و محمد المهدي ٧٢
ج ـ الامام و موسى الهادي ٧٤
١ ـ «فخ» نجم في سماء التاريخ ٧٥
٢ ـ الدم والشهادة في ثورة «فخ» الخالدة ٨٠
٣ ـ السلطة العباسية تحمل الامام مسؤولية «فخ» ٨٦

* الامام و هارون الرشيد ٩٣
أ ـ تعريف موجز بسياسة هارون الرشيد ٩٣
ب ـ الامام في سجون الرشيد ١٠٢
ج ـ كيف كان الامام يقضي أيام سجنه ١١٠
د ـ الامام الشهيد ١١٨
* الامام الخليفة علي بن موسى الرضا (ع) ١٢٤
* المنار الخالد ١٢٥
* المشهد الكاظمي ١٣٠

بيـــان

الى جميع الأخوة المشاركين في دار التوحيد

١ ــ ان الرقم الموجود فوق عنوانكم المطبوع على المظروف هو رقم اشتراككم . فنرجو الاشارة اليه في كل رسالة تبعثون بها الينا . وكل رسالة لا تحمل رقم الاشتراك لا تنال الاهتمام .

٢ ــ يرجو اعلامنا عند تغيير عنوانكم فوراً .

وشكراً

(المدير)

2759

طبع منه
خمس و عشرون الف نسخة
للتوزيع في سبيل الله تعالى

پهندی وکلاہباع

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY-AUG. 1993
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 059527422